المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٦ جمادي الاولى سنة ١٣١٨

ملك ايطاليا

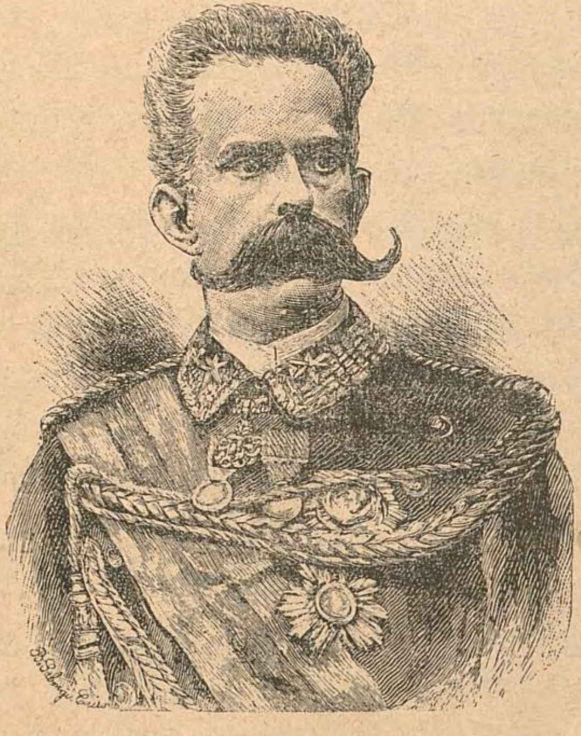

قد يُظن لاول وهلة ان رجال العلم لا يفرقون بين الملوك وغيرهم من عامة الناس . وهذا صحيح اذا نظروا اليهم من حيث بناء اجسامهم وصحة ابدانهم ومضاء عقولهم ولكنهُ غير صحيح اذا نظروا اليهم من حيث مقامهم في المجتمع الانساني ومقدرتهم على النفع والضر فهم من هذا

القبيل ممثلون قوةً عظيمة من اعظم قوى المجتمع الانساني . ولذلك تنشر المجلات العلمية والادبية سيَر الملوك والوزراء اذا كان لهم شأن في ترقية بلادهم كما تذكر سير العلماء والفضلاء

وقد حدث في اواخر الشهر الماضي حادث عظيم ارتجت لهُ النوادي السياسية والادبية واهتمَّ بهِ علماء الاخلاق والباحثون في مصير المجتمع الانساني وهو اعتداء رجل خامل الذكر على ملك عظيم الشان لا لذنب جناهُ هذا الملك على ذلك الرجل او على احد من خاصتهِ او على احد من الناس ولا لان ذلك الرجل مصاب بدخل في عقلهِ او انهُ فعل ما فعل خطأً عن غير عمد كلاَّ بل هو في تمام العقل وقد فعل ما فعل عن قصد وروية وغرضهُ وغرض رفاقهِ الفوضويين التنكيل بالملوك كأنهم يحسبون انهُ اذا قُتل الملوك زالت ادواء الاجتماع الانساني وبطل الفقر وقلَّ الكرب الى غير ذلك من المزاعم الفاسدة

وقد جمعنا السطور التالية مما كُتب في سيرة هذا الملك و يظهر منها انهُ كان من خيرة الملوك ومن خيرة الناس اجمع ولذلك فاغتيال الفوضويين لهُ دليل على فساد قواعدهم

لما توفي الملك فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا شعرت الامة الايطالية بفقد عزيز احياها ورفع مقامها بين الممالك الاوربية ولكنها علمت وعلمت اوربا كلها ان العبءَ الذي القاهُ على عاتق ابنهِ ثقيل لان تنظيم الممالك وترسيخ قدمها في العمران اعسر من فتحها وجمع شملها . وكان عليهِ ايضاً ان يقتدي بابيهِ ويحتفظ بالمقام الرفيع الذي اوجدهُ في قلوب شعبهِ ولذلك قال في المنشور الاول الذي نشرهُ على الايطاليين ان غاية ما يتمناهُ هو ان يستحق محبة شعبهِ . واجتمع كثيرون منهم تحت قصرهِ ونادوا بهِ ملكاً فلما اشرف عليهم ضمَّ ابنهُ الى صدرهِ وقال لهُ اني اقسم لك باني ساعيش عيشة تجعل الشعب الايطالي ينادي بك ملكاً حال موتي على هذا الاسلوب من الولاء . فكان كما قال

وُلد امبرتو الاول ملك ايطاليا في مدينة تورين في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في مثل اليوم الذي وُلد فيهِ ابوهُ . وامهُ ماري ادليدا ابنة ارتشديوك رانياري والي لمبرديا والبندقية وكانت من فضليات النساء واشدهنَّ رأماً لاولادهنَّ واهتماماً بتهذيبهم وتعليمهم وجرت في تربية اولادها مجرى بيت سافوى الذين يربُّون اولادهم تربية النشاط والقوَّة ليكونوا من الابطال المعدودين حتى جرى المثل " ان سافوى والخوف لا يجتمعان "

وتوفيت هذه الام الفاضلة وعمر امبرتو احدى عشرة سنة وتركت اولادها لعناية والدهم الملك فكتور عمانوئيل . وكانت مشاكل البلاد ومشاغلها كثيرة فلم يكن لهم بدٌّ من مراقبتها والتشوُّف الى الوقت الذي يصيرون فيهِ قادرين على مساعدة ابيهم في تحرير بلادهِ . ولما كان

عمر امبرتو ١٥ سنة ركب مع ابيهِ وخرج للحرب في احدى المعارك التي كان لها الشأن الاكبر في مستقبل ايطاليا . ثم أُرسل في مهام اخرى فاعرب عن همَّة وحصافة رأي يندر وجودهما في مَن كان من سنهِ

وسنة ١٨٦٦ وقع القتال بين الايطاليين والنمسويين وكانت القيادة للبرنس امبرتو ومن ثم صار يخرج للحرب كلما دعت الحال. ومن اعمالهِ التي تدلّ على شهامتهِ وعزة نفسهِ تنازلهُ للحكومة عن راتبهِ اذ رأى البلاد مثقلة الكاهل بنفقات الحروب. وكان باسلاً يعترض الموت اذا اعترضهُ ومما يؤثر عنهُ أنهُ وبَّخ احد قوّادهِ حين اسرع هذا لانقاذهِ فانهُ التفت اليهِ وقال لن اغفر لك اسراعك لانجادي

وفي الرابعة والعشرين من عمرهِ دعا ابوهُ وزيرهُ وطلب اليهِ ان ينتقي لابنهِ زوجةً اميرة فاضلة وان يسرع في عملهِ اذ لم يرق في عينيهِ بقاء ولي عهدهِ عزبًا واخوهُ الاصغر متزوج فارتأى الوزير ان تكون العروس البرنسس مرغريتا ابنة دوق جنوى وهو عمّ الامير وكانت هذه الاميرة قد ربيت احسن تربية ونشأت على حب الوطن وكانت في الثامنة عشرة من عمرها بيضاء اللون بعينين زرقاوين وقد اشتهرت بالدعة واللطف حتى لُقّبت ملاك ايطاليا

واطنب الوزير في مدح جمالها واخلاقها حتى طرب الملك ووعد وزيرهُ ان يذهب بنفسهِ لزيارتها فيتاكد صحة الخبَر بالخبْر ولم يلبث ان الحق القول بالفعل فشهد منها ما زاد مقامها في عينيهِ فخطبها لابنهِ واحتفل بزواجهما في تورين سنة ١٨٦٨ احتفالاً ملكيًا باهرًا شهدهُ جميع اعضاء الاسرة المالكة وكان في من حضر ذلك الاحتفال الامبراطور فردريك ملك بروسيا وهو لا يزال ولي عهد ابيهِ

ولم تكن الامة في ذلك الزمان مجمعة على حب هذا الامير اجماعها على اكرام ابيهِ لاسباب اهمها اشتغالها بحب الوالد وكون الامير لم يكن يحسن التصرف بين الايطاليين على ما يرغبون فكان من طبعهِ الترفُّع لا عن كبرياء بل عن شمم على ان الامة لم تبرح ترى فيهِ سرّ ابيهِ وانهُ امير من بيت سافوى وانهُ بطل مجرّب كما اتضح بالامتحان وكان الملك شديد الثقة بابنهِ عارفًا ما فيهِ من حسن الصفات والاخلاق . ومن يقف على تاريخ ايطاليا مدة حكمهِ وينظر في اعمالهِ لا يرى في آمال ابيهِ شيئًا من المبالغة فانهُ لم يلبث على العرش طويلاً حتى اجتذب اليهِ قلوب الرعية وملك افئدتهم بما اتصف بهِ من كرم الاخلاق والمروءة والحكمة والتعقل

وبعد العرس جال هو وزوجتهُ في مدن ايطاليا الكبيرة ما عدا رومية وكانت الحفلات تقام في هذه المدن تكريمًا لهما وترحيبًا بهما ثم عادا الى تورين حيث لبثا ورزقا بعد سنة ونصف

بوحيدها وورث ملكها فسُمّي فكتور عمانوئيل باسم جدهِ . ولما دخلت رومية في حوزة الحكومة الايطالية انتقل الاميران الى قصر الكويرنيال وكان الملك فكتور عمانوئيل يزداد ميلاً الى كنتهِ واعتباراً لها وثقةً بها فتمكنت بذلك من تغيير بعض اطوارهِ حتى اذا ما رقي زوجها الى عرش الملك انعقدت قلوب الامة على احترامها ومحبتها بما شهدوهُ من لطفها ورقتها

ولمّا ملك امبرتو استهلَّ حكمهُ بعمل حميد اكسبهُ احترام الامة وذلك ان اباهُ خلف ديونًا باهظة فرأى مجلس الامة ان توفيها الحكومة اعترافًا بفضلهِ في تحرير ايطاليا لكن الملك ابى المصادقة على قرار المجلس قائلاً ان ديون ابي ديوني وانا المطالَب بايفائها وللحال شرع يقتصد في نفقات بلاطهِ وباع بعض خيولهِ وظلَّ كذلك الى ان تمكن من ايفاء الدَّين ومكافأة خدم ابيهِ وحشمهِ

ولم يمضِ سنة على ارتقائهِ الى العرش حتى اراد بهِ احد الاشقياء شرًّا وذلك انهُ كان هو والملكة ووزيرهُ داخلين الى مدينة نابولي في مركبة مفتوحة واراد الشقيُّ ان يطعن الملك بحربة فابصرهُ الوزير ومال يحمي مولاهُ وجُرح بدلاً منهُ . فأخذ الغيظ مأخذهُ من الامة واتضح للملإِ حينئذٍ ما اكتسبهُ الملك من محبة شعبهِ في مدة حكمهِ هذه القصيرة . ولما حُكم على المجرم بالاعدام عفا عنهُ وابدل الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة فزادت هذه الشفقة منزلتهُ رفعة في عيون شعبهِ

وما انطوى عليهِ من صدق العزيمة والشجاعة هوَّن عليهِ التفاني في خدمة امتهِ حتى كان يستغرب اعجاب شعبهِ بشهامتهِ يوم كان يتفقد المرضى في اقذر الشوارع حين ظهور الكوليرا فقد قال في ذلك "لم اعمل سوى ما هو واجب عليَّ" . ولم تنزل بالبلاد نازلة الاَّ وهو في مقدمة المساعدين بمالهِ وحميتهِ على ان تلك الحمية لم تصلح حالة البلاد فقد بليت ايطاليا بالفقر لكثرة ما اضطرت اليهِ من الانفاق في سبيل اتحادها ثم رأت من ميل فرنسا عنها ما اضطرها الى عقد التحالف الثلاثي فكان ضغثًا على ابالة من حيث كثرة النفقات الحربية واتت ثالثة الاثافي بالحرب المالية التي اثارتها عليها فرنسا سنة ١٨٨٨ فاتلفت صناعتها وتجارتها . واهتمَّ الايطاليون بعد ذلك بالاستيلاء على بلاد الحبشة فلم يفلحوا وفاز الاحباش عليهم فوزًا مبينًا كاد يقوض اركان الملكية . وكان حنق الاكليروس شديدًا على ملك ايطاليا وجرائدهم لا تنفك عن ايغار الصدور عليهِ ولاسيما في فرنسا فقاوم هذه المحن كلها بالصبر وخرج منها ظافرًا . وطيب سريرتهِ وشهامتهُ اكسباهُ ميل الامة اليهِ فهو العارف باحوالها الخبير بمآساتها المرسل كلامهُ الى قلوبها ينطبع فيها كما باقلام من حديد وهو الذي كان اذا خطب فيها مسَّ اعماق

القلوب واختلب الالباب لا بفصاحتهِ وحسن انشائهِ فقد كان بعيداً من ذلك ولكن بصدق لهجتهِ وخلوص طويتهِ وما فطر عليهِ الايطاليون من الحماسة والحمية

وكان يبرّ بمواعيدهِ اقسم مرة ان لا يدخن ولم يحنث بقسمهِ. وكان ذلك عملاً بنصيحة اطبائهِ لما آنسوهُ فيهِ من اكثارهِ التدخين الى حدّ ان خشوا سوء العاقبة. ولم يكن قويّ البنية كأبيهِ فظهرت فيهِ علامات الشيخوخة باكرًا. ومن اخلاقهِ انهُ كان ولعًا بالخروج الى خارج المدن والتصعيد في الجبال فكان يأوى الى الخيام ويشارك الفلاحين في طعامهم وشرابهم وكان على شغفٍ بالالعاب الرياضية والى هذين تعزى جودة صحتهِ في كهولتهِ. وكان من عادتهِ القيام الباكر لا يميز فيهِ بين برد الهواء او حرّهِ ولا يعتدُّ بالمطر ولقد كان يفضل ان تبتلّ ثيابهُ من المطر على ان يستظل بمظلة تقيهِ وكان يقف في الاستعراضات بضع ساعات معرضًا لحر الشمس وهو يهزأُ بالذين يطلبون الظل والراحة. وعدم اعتدادهِ بالبرد والحرّ خُلق من اخلاق أُسرتهِ ودليل آخر على قلة اكتراثهِ للمخاطر

وكان محبًّا لزوجتهِ يعتمد عليها في الرأي ويستشيرها في امور كثيرة ولهُ معها وقائع يصحّ اتخاذها دلائل على اخلاقهِ فمن ذلك انها الحّت عليهِ ان يصبغ شعرهُ وكان قد لعب بهِ المشيب شابًا فلم تلقَ منهُ قبولاً فعمدت الى الحيلة على ما قيل فاتت بمقدار من الخضاب ووضعتهُ في غرفتهِ ومعهُ ورقة فيها تبيان كيفية استعمالهِ وانتظرت ما يكون وكان لها كلب ابيض طويل الشعر وبعد بضعة ايام رأت هذا الكلب مسرعًا الى غرفتها وقد تبدَّل بياضهُ بالسواد ولبس من الصبغ حلةً اسكتتها فلم تعُد تفاتحهُ في هذا الموضوع. وسأَل مرة احد كتّابها عما يصلح ان يقدم لها على سبيل الهدية في عيد الميلاد فأَجابهُ هذا ان جلالتها مديونة كثيراً للخياطين فطلب ان يؤْتى اليهِ باوراق الحساب فأُتي بها اليهِ وفي صباح العيد وضع جميع تلك الاوراق على المائدة امام كرسيها مع الوصل باستلام الدراهم من اصحابها ولم يزد عليها هدية واحدة فرأَت الاوراق وفطنت لقصدهِ وشرعت تقتصد في نفقاتها على لبسها من ذلك الحين

وحكى ولي العهد الحكاية الآتية قال رأَى ابي امي وهي تضع النظارات على عينيها لتستعين بها على قراءة الموسيقى فصاح قائلاً يا مرغريتا ابعديها عنك فاني لا اطيق رؤْيتها فلم تصغِ الى قولهِ فقال اذا لم تطرحيها جانبًا فاني أُغني فاطاعت للحال لكي تتخلص من سماع غنائهِ لانهُ عادي الصوت لا يحسن ضبط الانغام. ومما يحكى عن الملكة انها سافرت ووليّ العهد مرة من بالرمو الى نابولي فعصفت الريح وهاج البحر حتى خشي القبطان على مَن في السفينة فجمع الضباط واستشارهم في الامر وفيما اذا كان الاجدر بهم التقدُّم فاجمعوا على العودة الى بالرمو وعرضت المسأَلة على

مولاتهم فاتوها مستشيرين وكان بيدها ورقة بيضاء فاخذت قلماً وكتبت عليها ” Sempre avanti Savoia “ ومعناهُ ان سافوى يجب ان تسير دائماً الى الامام وهي شعار بيت الملك عندهم

وقد حاول الفوضويون الاعتداء على حياة الملك امبرتو مرتين غير هذه الاخيرة كانت الاولى في نابولي كما تقدم والثانية في سنة ١٨٩٧ ولقي في الثالثة حتفهُ وهو لم يتجاوز سبعاً وخمسين سنة من العمر . وقد فصلت الجرائد الايطالية مقتلهُ فقالت انهُ اسرع بعد العشاء في ليلة ٢٩ من شهر يوليو للذهاب الى حفلة الالعاب الرياضية لانهُ كان قد سبق فوعد اصحابها بالحضور حين توزيع الجوائز فحاولت الملكة ان تثنيهُ عن عزمهِ فلم تفلح وابى ان يخلف وعدهُ فركب واثنين من قوادهِ في مركبتهِ وتبعهم المندوب الخاص واحد وكلاء البوليس في مركبة اخرى فلما وصل الى مكان الحفلة الفاهُ غاصًّا بالحاضرين والطريق مسدوداً والشرفة المعدة لهُ مملوءة بالمتفرجين وبعد العناء الشديد تيسر فتح الطريق واخلاء الشرفة ثمَّ وزعت الجوائز على مستحقيها وحيا الملك الذين نالوها مصافحة جرياً على عادتهِ وبعد ان حدَّث مَن حولهُ نهض يريد الانصراف فهتف الحضور مراراً ليحيَ الملك وتراكضوا جميعاً الى طريقهِ وكان ممسكاً قبعتهُ بيدهِ فجعل ينظر باسماً الى من حولهُ وتقدم على مهل الى مركبتهِ بين صفوف الناس ثم صعد الى المركبة ووقف حاسر الراس وجعل يحيي الجمهور الذي تألَّب حولهُ اظهاراً لشكرهِ لهُ وكان رجال البوليس قد حاولوا ابعاد الناس عن مركبتهِ فلم يفلحوا . ثم ادار المندوب الخاص ظهرهُ وسار ووكيل البوليس الى مركبتهِ مزاحماً وعند ذلك تقدم رجل الى الصفوف الامامية ووقف على مسافة متر ونصف من الملك وسدّد مسدَّسهُ عليهِ ساكن الجأْش واطلق عليهِ اربع رصاصات فجرحتهُ واحدة منها جرحاً بالغاً في الفسحة الرابعة بين الاضلاع واصابت الثانية الترقوة اليسرى واستقرت الثالثة في الفسحة على طول الخط الابطي فاكبَّ على ركبتيهِ ثم استلقى على ظهرهِ وامر سائق المركبة ان يسير مسرعاً فجرت الخيل عدواً الى القصر الملكي. وانقضَّ الجمهور ورجال البوليس على القاتل فقبضوا عليهِ اما الملك فبقي ساكتاً بضع دقائق ثم صعَّد زفرات قليلة وفاضت روحهُ قبل ان يصل الى قصرهِ . ويقول القاتل انهُ ارتكب هذه الجناية لبغضهِ الملوك لا لسبب آخر

وقد شمل الحزن كل من سمع بخبر هذه الفاجعة واشتدَّ حنق الناس على الفوضويين ومبادئهم القبيحة وستكون هذه الجريمة من مقوضات اركانهم وممزقات شمل عصبتهم ومسهّلات عقاب الملك على ابنهِ فكتور عمانوئيل الثالث لانها تكرّه الامة بالجمهوريين المتطرفين وتبعدها عنهم حتى تنحل عصبتهم ويفضي امرهم الى لا شيء

دوق ادنبرج

لقد صدق من قال ” تنوَّعتِ الاسباب والموْت واحد “ ولكن القضاء الطبيعي الناتج عن مرض عجز عنهُ علم الطب او عن انحلال اقتضتهُ الشيخوخة ودعا اليهِ نفاد القوى لا يحرك الغيظ في النفوس ولو ادمى القلوب والعيون وبمثل ذلك قوبل موت دوق ادنبرج ابن ملكة الانكليز وثاني اولادها فانهُ قضى بداء ضاعت فيهِ حيل الاطباء

وكان من حداثة سنهِ كثير الاجتهاد والحذق برع في العلوم التي تعلمها وفاق اقرانهُ . وبعث ابوهُ مرةً باوراق امتحانهِ الى الوزير اللورد دربي ليطَّلع عليها فلما قرأَها كتب الى ابيهِ يقول ” اني اشكر الله لانهُ لم يشترط على وزراء المملكة ان يُمتحنَوا مثل هذا الامتحان والاَّ ما وُجد وزراء يكفون لتأْليف وزارة “

وكتب ابوهُ الى البارون ستكمر سنة ١٨٦٠ يقول لقد ودَّعنا الفرد ومضى الى رأْس الرجاء الصالح بطريق ريو جنايرو. ومن الغريب ان اخاهُ مضى الى كندا ليفتح جسرًا (كبري) انشئَ على نهر سنت لورنس وهو مضى ليضع حجر الزاوية في مرفإٍ مدينة رأْس الرجاء وسيحدث ذلك في اسبوع واحد في طرفي المعمورة. ما ابهج هذه الصورة الدالة على نمو الشعب الانكليزي ومشاركة الاسرة المالكية لهُ في ترقية شؤُون العمران. والناس في هاتين المستعمرتين الجديدتين ينظرون الى ولدينا بالحب والفخر

وكان وهو في السفينة كاحد البحَّارة تمامًا ولكنهُ لما نزل الى البر قوبل مقابلة الملوك. ولما عاد من هناك عاد برفقتهِ السر جورج غراي والي المستعمرة. وكتب الي صديق لهُ بُعيد ذلك يقول "لا شيءَ يسرُّ الفؤَاد اكثر مما رأَيناهُ من البرنس الفرد هنا فهو شاب كريم الاخلاق مملوءٌ من النشاط والظرف وحيث سار قابلهُ الناس بالبهجة والسرور. وهو امهر مني في ركوب الخيل فاجتذب قلوب الرؤَساء الوطنيين وسرَّ الاوربيين بما ابدى من الاهتمام بمصالحهم ونجاحهم"

ورآهُ رئيس قبيلة الجيكا وعشرة من مشيريهِ على ظهر السفينة يعمل في تنظيفها مع غيرهِ من الشبان فقالوا لقد رأَينا الآن سبب عظمة انكلترا فان ابن ملكتها يخضع لرجل من رعيتها لكي يتعلم الحكمة فاذا كان ابناءُ العظماءِ من الانكليز يتركون بيوتهم ورفاهتهم وآباءهم ويتحملون المشاق مع هذا الامير لكي يتعلموا ويصيروا سياجًا لمملكتهم فلا عجب اذا عظمت انكلترا واعتزَّ شأْنها

وعُرِض عليهِ عرش مملكة اليونان سنة ١٨٦٢ باجماع اليونانيين في بلادهم وكل البلدان فاضطرَّ ان يرفضهُ لان بريطانيا وفرنسا وروسيا كانت قد اتفقت سنة ١٨٣٢ على ان لا ينتخب لهذا العرش امير من الاسر المالكة فيها

وهو كهل في سن ملك ايطاليا ولد في التاسع من اغسطس سنة ١٨٤٤ وربي كما رُبي سائر اخوتهِ على ما يعلي شأن بلادهم فدخل الخدمة البحرية وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ جريًا على خطة اسلافهِ الذين عززوا قوة انكلترا البحرية بانضمامهم اليها الى ان توفي عمهُ دوق كوبرج وغوثا فانتقلت الدوقية اليهِ بحق الارث سنة ١٨٩٣ وقد اقترن بالاميرة ماري ابنة اسكندر الثاني قيصر الروس سنة ١٨٧٤ ورزق منها ابنًا واربع بنات اما ابنهُ واسمهُ الفرد فتوفي في فبراير سنة ١٨٩٩ فانتقلت امارة ساكس كوبرج وغوثا الى ابن عمهِ دوق البني

وقد عمَّ الاسف على وفاة هذا الامير لاسيما وان ام الارض ترثي لمصاب والدتهِ الثاكلة التي ابى الدهر الاَّ ان يجرعها الحسرات مع ما اولاها من بهجة الملك وعظمة الجاه

الفتح النورماندي

لحضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي يني الطرابلسي

كان اول النازلين في البيون وهي انكلترا بضعة قبائل من المهاجرين الاسيويين وامة القلط واسمهم البريتون دفعتهم اليها القبائل الجرمانية التي وفدت على اوروبا بعدهم وزاحمتهم على مواطنهم فيها فظلوا يمرحون في جاهليتهم حتى دهمهم الرومان قبيل التاريخ المسيحي فسادوا فيهم بعض الشيء وظلوا يحكمونهم نحواً من خمسمائة سنة الاَّ انهم لم يقووا على اذلال بعض القبائل لاعتصامها في الجبال فلما رحل الرومان عادت تلك القبائل واهمها اثنتان السكوتس والبكتس يشنون الغارات على الثغور ليغنموا منها ما زانتها بهِ الحضارة الرومانية فلم يقوَ الاهلون على صدهم فاستعانوا عليهم ببعض القبائل الجرمانية التي كانت نازلة في اوروبا في القطر الواقع بين هانوفر واولدنبرج وهم الساكسون والانكلس والجوت فجاؤُهم للنجدة ولكنهم بعد ظفرهم انقلبوا اخصاماً اذ نزلوا في الجزيرة وامتلكوها وازدادوا عدداً بكثرة الجالية اليهم من قبائلهم حتى صاروا بكرور الايام اصحاب البلاد وارومة ساكنيها. اعتبر ذلك بانتساب الانكليز الى الانكلوساكسون اما البلاد فدعيت باسمهم انكلند اي بر الانكلس وانزوى القلط في وايلس وايرلندا وهضاب اسكتلاندا

وكان السكنديناف قبائل من الارومة الجرمانية نازلين في بلاد الدانمرك والسويد ونروج يجدُّون للعيش في بلادهم الباردة القاحلة فلا يجدون بلغةً الا بشق الانفس فاكتسبوا النشاط والاقدام والمهارة في البحارة يتخذونها سبيلاً للنهب والسلب مدى زمن جاهليتهم فعلموا في اواخر القرن الثامن للمسيح بما احرزت غالِيا من الغنى فاتجهت قواربهم السوداء صوب سواحلها الشمالية ومنها الى بريطانيا فشرعوا يأتونها في الاحايين قرصاناً لا يقصدون سوى اغتنام اسلابها لا يزجرهم عن ذلك دين ربهم ودن ولا يمنعهم شيءٌ عن قتل الرجال واختطاف النساء والاولاد لان الانكلوساكسون كانوا يومئذٍ سبعة ممالك كل واحدةٍ قائمة بذاتها والعدوان مستفحل بينها فلا تقوى من جراء ذلك على صد العدو والسكنديناف في خلال ذلك يشنون الغارات تباعاً دراكاً على البلاد حتى امتلكوا ايرلندا وزحف جيش منهم سنة ٨٣٦ الى دورستشير فردهم اكبرت الذي توفق قبل ذلك للتفرُّد في الملك على ان يبقى بعض اصحاب الممالك الاخرى على حكوماتهم باسم نائب الملك. وتكررت الغارات في ايام خلفائهِ حتى انتصف

القرن التاسع وقد امتلك السكنديناف سواحل ايرلندا وشمالي غاليا واستفحل امرهم في البحر فاطبقوا على بريطانيا من كل جهةٍ

وفي سنة ٨٦٦ زحف جيش منهم من ايرلندا على اسكتلندا ونزل جيش آخر تحت امر هوبا على سواحل ايست انكليا فاكتسحها وقصد يورك وما لبث ان استولى على نورثمبريا وانضم الجيشان سنة ٨٦٨ ثم أُسر نائب الملك في ايست انكليا وقتل وتوّج قائد الشماليين المسمى كثرم ملكاً وخضعت مارشيا للجزية وبالاجمال خرجت كل البلاد الواقعة الى شمالي التيمس من يد الانكلوساكسون وصارت في حكم السكنديناف واصبحت مملكة الوسكس التي كانت ذات السيادة على كل البلاد اذاء العدو الاكبر اذ عبر النهر الى بلادها سنة ٨٧١ واضطرمت الحرب فمات في غضون ذلك الملك اثلرد وخلفهُ اخوهُ الفرد فاشترى المصالحة بالمال وارتد السكنديناف الى ما وراء النهر ولكن بعد مضي ثلاث سنوات عادوا فطردوا نائب الملك من مارشيا وجعلوها تحت حكومتهم وهاجموا البلاد فوقعت الحرب بينهم وبين الفرد وكانت سجالاً حتى انكسروا في ودمور فعاقدهم الملك على صلح ظاهرهُ خروجهم من كل بريطانيا وحقيقة امرهِ سلامة قطر وسكس فقط وظلّ القسم الاعظم من البلاد بايديهم مطلقين عليهِ اسم دانلاك مشتقاً من الدانماركيين لكن هذا الصلح لم يكن حاسماً للنزاع بل ظلّ الشماليون يقدمون من بلادهم فيلقون من الفرد ومن خلفائهِ من بعدهِ حروباً داميات

ولم تكن غارات النورمان على انكلترا فقط ولكنهم اغاروا على فرنسا ايضاً وبعد معارك يشيب لها الرضّع تغلّب قائدهم رولف سنة ٩١٢ على الملك شارل الساذج وعاقدهُ على التخلّي لهُ عن الثغور الشمالية فكانت هذه المعاهدة شبيهة بالانكليزية التي عقدت في ودمور فسكن الحال وتنصَّر رولف واتخذ ابنة الملك شارل لهُ امرأَةً ثم اعترف بسيادة الملك عليهِ الاَّ ان التنصر والاذعان لسيادة الاجنبي لم يكونا من خُلُق القوم. اما البلاد التي استحوذوا عليها فهي التي اتَّسمت باسمهم نورمندي. وبعد وفاة رولف تولى الامارة (الدوكية) ابنهُ وليم وكان متذبذباً في المسيحية وطاعة ملك فرنسا لبقائهِ شمالياً قحاً اعتبر ذلك بما ورد من استقدامهِ شرذمة من الدانماركيين ليسكنهم شبه جزيرة كونتين الواقعة بين سان ميشيل وريف شاربورج وبما ورد من انهُ بعث بابنهِ الى بابو ليربى هنالك على اخلاق قومهِ الباقية على الحالة الاولى بخلاف سائر الجماعة الذين خالطوا الفرنسويين واخذوا عنهم الدين والعادات واللغة وكان من نتيجة فعلتهِ ان نشأ ابنهُ الدوك ريتشارد شمالياً بحتاً فعدل عن المسيحية حيناً من الدهر ذلك لما اشتد ساعدهُ بجماعة المهاجرين الحديثين الاَّ ان ذلك لم يدم طويلاً لان قومهُ ما لبثوا ان دانوا

بالنصرانية واقتبسوا حضارة الفرنسيس واخلدوا الى محاسن الاخلاق وطالت امارة ريشارد من ٩٤٥ الى ٩٩٦ فرأى اثر هذا الانقلاب. وشهد صدق ولاء قومهِ للاريكة الفرنسية

ولقد كانت هذه الامارة النورماندية قذىً في عيون ملوك الانكليز لقربها من بلادهم وخوفهم من اساءتها ولكن ما عتم ان رأى بعضهم ان يشد ازرهُ بهم فتزوج اثلرد باما بنت اميرهم فأُحكمت عرى الصداقة السياسية بين البلدين حتى اذا اغار الدانماركيون على البلاد فرَّ الملك ملتجئًا الى بلاد نورمندي ومنذ يومئذٍ اتجهت عيون النورمان الى انكلترا يحسبونها مصدر الخير والثروة وتحركت فيهم تلك الاطماع القديمة وهي التي دفعت الدوك روبرت في عصر الملك كنوت ان يقصد تلك الديار بحجة رغبتهِ في ارجاع العرش للملك اثلرد لكنَّ العاصفة اجلّت الفتح الذي اضمرهُ اذ حطمت سفائنهُ وحالت دون مرامهِ . وخلف الدوك روبرت ابنهُ الدوك وليم وكان قويّ الارادة شديد الحول يعلو بافكارهِ عن زمنهِ وبمقاصدهِ السامية عن معاصريهِ وفيهِ دهاء السياسيين ومهارة العارفين

الا ان نسبهُ من جهة امهِ لم يكن نبيلاً لان اباهُ الدوك روبرت كان قد رآها ابنة دبَّاغٍ فعلق جمالها الفتان فاستولدها الدوك وليم فبقي نسبهُ هذا وصمةً يُعاب بها لولا ان سترها مجد اعمالهِ التي بدأها بكبت اعدائهِ في وطنهِ وجوارهِ حتى رسخ قدمهُ واستفحل امرهُ سنة ١٠٦٠ وعُدَّ اولاً بين امراء فرنسا فاضاف مايان الى بلادهِ واخضع بريتاين ومال الى العلم فعضدهُ عضدًا قويًّا حتى ازهرت في ايامهِ مدرسة بك وازدادت نفعًا برئاسة لانفرنك اللمباردي

اما في انكلترا فان الشماليين الذين غلبوا بعض الاقطار وسكنوها تبعثروا بين الاهلين فما لبثوا ان دانوا بالمسيحية وتخلقوا باخلاق مجاوريهم واتخذوا لغتهم وعوائدهم حتى كادوا لا يفرقون عنهم وزاد انضمامهم تمكنًا بانقطاع المدد عنهم من الشمال لانشغال تلك البلاد بشؤونها الداخلية في زمن نشأة ممالكها الثلاث الاَّ ان صيرورة الجميع امةً واحدة لم يخلد بهم الى السكون بل ظلت الحرب قائمة بين بعضهم ولكنها لم تبق كحروب الوطنيين للاجنبي عنهم بل كتنازع ابناء الامة الواحدة

ولا خفاء ان تلك الاونة كانت اشد الازمنة اضطرابًا واكثرها قلقًا للملوك الاوربيين لما كان يعتور حكوماتهم من مخاصمة امراء القطائع الذين كانوا لا يفترون عن الاقتتال وقد كان يخطر لبعضهم التغلب على المملكة اما في انكلترا فقد كان اولئك الامراء على طرز اخوانهم من مناوأة بعضهم بعضًا ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الالمام بالشأن الملكي لمقامهِ في ذاتهِ وبين قومهم القائلين بامارتهم عليهم فبقي الشأن الملكي عند الانكليز محفوظًا ولكن القتال لم ينقطع بين

بعضهم والملك في خلال ذلك يحارب غير واحدٍ من الامراء لشؤُون اخرى ولكن لم يبقَ في النفوس اثر لاعتبار النورمان من اصلٍ غريب فاصبحوا لا يحارَبون لهذا السبب

وفي ختام الجيل العاشر كان على العرش الانكليزي فتىً من البيت الملكي اسمهُ اثلرد رأَى حالة الامراء فاراد ان يخضد شوكتهم فاتخذ حولهُ بطانةً واعوانًا فما عتم ان اعتزَّ هؤُلاء بنعم الملك واقطاعاتهِ وزادوا طمعًا فلم يكن قيامهم مقلاًّ من الاحن بل مزيدًا فيها. وعلم الملك ان الدانماركيين على وشك الاغارة على بلادهِ ولم يكن يستطيع صدهم لما في البلاد من الشقاق والبلايا ورأَى عزة نورمندي فحسب ان الاقتراب من بيت امارتها يزيدهُ رسوخًا في عرشهِ ويدفع عنهُ طارئة العدو فتزوج باما بنت الدوك روبرت سنة ١٠٠٢ كما مرَّ فامتعض الانكليز منهُ وزادهم انقباضًا انهُ امر بقتل المستأْجرة الشماليين لئلا ينضموا الى الدانماركيين حين اغاروا على انكلترا تحت امرة سويجن فادَّى ذلك الى ظهور عجزهِ عن صد العدو بالقوة فرشاهُ بمالٍ طائل حتى ارتدَّ ولكنهُ عاد سنة ١٠١٣ وعاث في البلاد فسادًا ففرَّ اثلرد الى نورمندي غير انهُ لم يقم فيها طويلاً لان المنية ادركت سويجن فمات سنة ١٠١٤ فاضطر ابنهُ كنوت ان يعود بقومهِ الى بلادهم وكان فتىً باسلاً فلما بلغ الدانمارك جلس على الاريكة ثم باشر الاهبة لاغارةٍ شعواء على انكلترا. وسنة ١٠١٦ توفي اثلرد فخلفهُ ابنهُ ادمند وثارت على اثر جلوسهِ الشحناء فالقتال بين الامراء فجاء الدانماركيون واستولوا على وسكس ومارشيا فقاومهم ادمند بضعة اشهر حتى غلبوهُ في موقعة اساندون وعاقدوهُ على اقتسام البلاد فاصبحت انكلترا خاضعةً للملكين ادمند وكنوت وبعد حين توفي ادمند فخلا جو الملك لكنوت فبدأَ حكومتهُ بالانتقام وسفك الدماء حتى انهُ لحق بابناء ادمند الى المجر ولكنهُ عاد الى الحكمة والرشاد فساس البلاد سياسةً مستحِسنة وامنّها وكانهُ لم يكن غريبًا اذ ابقى كل شيءٍ على حالهِ بل صرف الدانماركيين الى بلادهم ولم يبقِ حولهُ منهم الاَّ نفرًا اتخذهم لحراستهِ

وفي ايامهِ كان بدء حادثين لهما الشأْن الاعظم في تاريخ انكلترا احدهما اتفاقهُ مع ملك السكوتس على اعطائهِ شماليّ نورثمبريا حتى نهر التويد وهي قطر يسكنهُ الساكسون والسكوتس على ما ذُكر من القلط الاصليين ومن الغالة فلما انضم اليهم الساكسون امتزجوا بهم وغلب عليهم عنصرهم فصاروا والانكليز امةً واحدة لذلك سهل انضمامهم بعد ازمنةٍ الى اخوانهم بحيث اصبحوا لهذا العهد مملكةً واحدة. والحادث الثاني هو ان كنوت قرَّب اليهِ الإرل كودوين ومنحهُ السراوة والغنى واتخذهُ عونًا ونصيرًا فكان ذلك بدء عزتهِ. قيل ان اصل الرجل خامل بل وضيع جدًّا حتى انهم ليحسبوهُ ارتفع الى السراوة بعد اذ كان صبيًا يرعى البقر فاصبح من

اوسع الامراء جاهاً واكثرهم اقتداراً وباتت كلمتهُ وهي النافذة في المملكة حتى ليحتاج اليها الملك في ترسيخ قدمهِ

وخلف كنوت ابناهُ هارولد فهارثانكوت ولم يسيرا على منهاج ابيهما من العدالة واللين فملَّ الانكليز حكومتهما حتى اذا مات هارثانكوت استدعوا ادوارد بن اثلرد من منفاهُ في نورمندي حيث نشأ على العادات والاخلاق النورمانية واجلسوهُ على اريكة آبائهِ والامر في خلال ذلك لثلاثة من اعاظم الامراء الاَّ ان اكثرهم نفوذاً واقتداراً الارل كودوين فكان مدبر شأن المملكة سيما لاقامتهِ ابنيهِ واحد انسبائهِ امراء على بعض القطائع فاشتد بهم ازرهُ وزاد اقتداراً بمصاهرة الملك فحدثتهُ نفسهُ بارتقاء الاريكة ولكن حال دون بلوغهِ اليها فسق احد بنيهِ وما جرَّ في اثرهِ من الخلاف مع الملك وفرار الابن من البلاد. ولو وقف الامر عند هذا الحدّ لهان ولكن كودوين نال من الملك نعمة العفو عن ابنهِ فلما عاد قتل ابن عمهِ وهو امير من صنائع ابيهِ فمال الرأي العام على كودوين وابنهِ سيما حين اذ فاز بالصفح ثانيةً فاراد كودوين ان يصرف نفرة الامة عنهُ الى الملك فسعى بين الناس في بيان ارتياح ادورد الى النورمانديين وشؤونهم. وحدث في خلال ذلك وقوع النزاع بين صهر الملك صاحب بولون بفرنسا وبين اهل دوڤر فادى ذلك الى الهرج فقتل بضعة من رجال الامير فالتجأ الى الملك يطلب قصاص الفاعلين فامر الملك كودوين ان يقتص من اهل دوڤر لانها من امارتهِ فابى محتجاً بوجوب المحاكمة فعدَّ الملك ذلك مخالفةً وامر بحضور كودوين لديهِ فابى فرماهُ بالعصيان وتحفز كلاهما للقتال الاَّ ان نفرة الناس من كودوين وابنهِ مالت بهم عن نصرتهما فلما تفرقت جماعة الامير فرَّ بعائلتهِ واموالهِ الى فلاندر ثم علم ان الامة حسبت ذلك السقوط الوقتي قصاصاً كافياً وشعرت بالحاجة الماسة الى اقتدارهِ فجاء بالسفن سنة ١٠٥٢ فارجعهُ الملك الى سابق شأنهِ واقرَّهُ على امارتهِ ولكنهُ مات سريعاً وتولى الزعامة ابنهُ هارولد مدى اثنتي عشرة سنة وكان حكيماً باسلاً جمع كل فضائل ابيهِ ولكنهُ لم يتلطخ بمفاسدهِ فازدادت عظمتهُ اضعافاً واحبتهُ الامة كثيراً فاشتد املهُ بنيل الاريكة لاسيما بعد اذ عهد بامارة نورثمبريا لاخيهِ توستيك عقيب موت صاحبها الارل سوارد فاصبحت بذلك كل انكلترا الاَّ قسم صغير من قطر مارشيا في امارة آل كودوين وزاد في اعتلاء كعبهِ ضعف الملك وموت ولي عهدهِ ووشك انقطاع الاسرة المالكة بحيث كان ذلك جميعهُ ممهداً سبيل هارولد الى الاريكة

الاَّ ان العقبة الكؤود التي كانت تحول دون الوصول الى امنية هارولد لم تكن في انكلترا ولكنها في نورماندي بفرنسا لان الدوك وليم بن روبرت كان قد تولى الامارة وحدثتهُ نفسهُ

بالجلوس علي الاريكة الانكليزية التي كان يقدر قرب موت ملكها بلا عقب. واذ كان الملك من انسبائهِ واصدقائهِ اغتنم فرصة خروج كودوين منها وأتى البلاط الملكي زائرًا صديقهُ وعاد منهُ على قول وقد وعدهُ الملك بولاية عهدهِ. وسنة ١٠٦٥ ركب هارولد البحر في مهمة لم يكشف التاريخ عنها قناعًا فعصفت الانواء وألقت بسفائنهِ حطامًا على الشاطئ الفرنسي ونجا بنفسهِ الى بونثيو فاسرهُ صاحبها لان من عادة تلك الايام ان يحسب الملتجئ الى بلدٍ اسيرًا فيها. وقد اختلفت الروايات في اتصالهِ بعد ذلك الى الدوك وليم فمن قائل انهُ اشتراهُ من الكونت الذي اسرهُ ومن ذاهب الى ان هارولد شكا الى الدوك وليم فأمر بهِ فأُحضر لديهِ الى روان فاحتفل الدوك بهِ كثيرًا واذ كان عارفًا بمكانتهِ وانهُ اذا ناظرهُ علي الاريكة الانكليزية كان خصمًا عنيدًا عقد مجلسًا من ذويهِ ودعى بهارولد وشرع يخاطبهُ قائلاً اني لما كنت والملك ادورد كاخوين نسكن دارًا واحدة وعدني بولاية العهد على انكلترا اذا صار ملكًا عليها فارغب اليك الآن ان تمدَّ لي يد المعونة لوفاء وعد الملك. واذ كان هارولد في قبضة الدوك وقد شعر ان الضيافة التي يمتع بها ليست الاَّ اسارًا قد يؤدي بهِ الى الحتف اجاب الدوك الى ما اراد. فعاد وليم وسألهُ ان يصاهرهُ في ابنتهِ اديلا وان يبعث اليهِ باحدى شقيقاتهِ ليزوجها باحد امراء (بارونات) النورمانديين فاذعن هارولد لذلك ايضًا. الاَّ ان وليم كان ادهى من ان يستوثق بمثل هذه الوعود المجرَّدة فاوعز الى هارولد ان يقدم لهُ في حضرة سراة النورمانديين واجب الطاعة والاحترام اللائقين بولي عهد ملكهِ. فركع هارولد امام الدوك وليم ووضع كلتا يديهِ بين يدي الدوك وكرر الطاعة والوعد بالمعونة. وكان وليم عارفًا بما للشعائر المذهبية من الشأن العظيم في افكار الناس جميعًا حتى ان من اقسم علي شيء من تلك الشعائر يلتزم بهِ ومن حنث نفر القوم عنهُ ورموهُ بالمروق من الدين ولهذا جمع الدوك ما وصلت اليهِ يدهُ من الذخائر المحترمة كعظام القديسين وسواها في صندوق مقفل ووضع على الصندوق كتاب الصلاة وعقد مجلسًا آخر طلب فيهِ الى هارولد ان يقسم الايمان علي ذلك الكتاب فاقسم يمين الطاعة والمعونة وهو لا يعلم بما في الصندوق حتى انتهى من قسمهِ ورأى بام عينهِ تلك الذخائر المحترمة فامتقع لونهُ لما في نفسهِ من الحنث بيمينهِ. وأُفرج عن هارولد فعاد الى انكلترا وشرع يزداد كمالاً في عيون مواطنيهِ ببسالتهِ وحكمتهِ وعدالتهِ حتى اذا قضى الملك ادورد نحبهُ في ٥ كانون الثاني سنة ١٠٦٦ اجتمع اهل الحل والعقد وانتخبوا هارولد ملكًا فوقع ذلك من الاهلين موقعًا جليلاً لتعظيمهم قدرهُ. وما بلغت الاخبار الى نورماندي حتى قام وليم اميرها وقعد وبعث بالحال رسولاً يذكر هارولد بيمينهِ التي حلفها علي الذخائر المقدسة فاجاب الملك قائلاً نعم اني حلفت

لهُ ولكني اقسمت مرغمًا ووعدت بما لا يد لي في اعطائهِ لان قيامي على الاريكة ليس مما املك ولذلك لا استطيع التخلي عن الملك الاَّ برضا الامة وليس الاَّ برضاها اقتدر على التزوج بابنة غريبة واما شقيقتي التي يريد وليم مني ان ارسلها اليهِ ليزوجها من احد رجالهِ فقد ماتت في مدى هذه السنة فهل يرغب اليَّ ان ابعث لهُ بجثتها

فلم يقنع الدوك وليم بهذا الجواب بل بعث الرسل ثانيةً فعادوا بمثل جوابهم الاول فنشر وليم بين الناس رسالةً ابان بها حنث هارولد بيمينهِ وعدم برهِ بوعدهِ وتوعَّد ان يجرد السيف عليهِ ليأخذ منهُ بحقهِ . قيل ان الدوك وليم لم يدَّعِ الملك افتئاتًا انما رغب في ان يسأَل فيهِ رأي الامة وحسب هارولد حائلاً بتملكهِ بينهُ وبين بيان رأيها ثم ارتأَى ان يسعى بالوسائل السلمية لنيل رغبتهِ قبل ان يجاهر بالعدوان لا خوفًا منهُ ولكن لسياسةٍ نحاها اراد بها ان يمكّن لنفسهِ بين الحلفاءِ والانصار ليصدقوا في نجدتهِ متى علموا ان دعواهُ نائلةٌ الحظوة لدى الكرسي الرسولي في رومية. والناس في ذلك العهد على اتم الولاءِ والاذعان لاحكامهِ فاستدعى ان يكون قداسة البابا حكماً بينهُ وبين هارولد فابى الملك هارولد الاجابة الى ذلك بحجة انكارهِ المجلس الذي يُعقد لهذه الغاية وان لا صلاحية للحبر الايطالي ان يحكم في دعوى الملك الانكليزي فساء وقع هذا الجواب كثيرًا ولكنهُ لم يقف في سبيل فحص الدعوى والحكم للدوك وليم بالاريكة الانكليزية وتعزز الحكم بارسال البابا للدوك رايةً صلى عليها وباركها فلما اتصل ذلك بعلم الاكليروس شرعوا يؤَيدون دعوى الدوك ويحضون القوم في طول اوروبا وعرضها على الانضواء تحت اعلامهِ فكانت دعوتهم كنفير عام ضد انكلترا . اما الدوك وليم فشرع يعمل بملء قدرتهِ ومنتهى دهائهِ ليس فقط لجمع رجال دولتهِ بل لاستنهاض حلفائهِ وتباعهِ ومريديهِ يمني هذا بالغنائم وذاك بالمناصب حتى اجتمع لديهِ جيش لم يرَ الغرب احسن منهُ عددًا وعددًا اذ انضمَّ اليهِ كل ذي حمية وبسالةٍ من الاوربيين الطامحين لنيل البركة واغتنام ما يملك الانكليز وفوق هذا فان النورمانديين كانوا من الابطال المشهورين وناهيك بالدوك فهو يعدَّ بالالوف

ولا خفاء ان الاغارة على بلاد الانكليز لا تستطاع الا لمن يمتلك اسطولاً قويًا وقد اتجهت عناية وليم لهذه الغاية ايضًا وقضى الشهور الطوال من سنة ١٠٦٦ وهو يجهز السفن الجمة في الثغور الخاضعة لهُ

اما الانكليز فانهم كانوا يرون تلك الاهبة ويقابلونها بالمثل برًّا وبحرًا الا ان المصايب تتوالى فان مرابطة ثغور انكلترا الجنوبية زمنًا طويلاً اقلق الكثيرين من جيش هارلود ومعظمهم

من اهل الحراثة والصناعة فشرعوا يتركونهُ زرافات حتى لم يبقَ لديهِ في اواخر الصيف من سنة ١٠٦٦ الاَّ الجيش المدرَّب. يومئذٍ اتصل بعلمهِ ان ملك نروج هارالد هاردرادا قد اغار على بلادهِ بخمسمائة بارجة ونزل قطر اوركنيس فانضم اليهِ كثيرون من الاهلين فزحف الى يوركشير وهنالك حارب بعض الامراء عند يورك فغلبهم واستولى على المدينة وجوارها

وكان السبب في هذه الغارة ان هارالد هاردرادا كان ثالث الطالبين للاريكة الانكليزية وقد زادهُ استرسالاً اليها تحريض الارل توستيك بن كودوين شقيق الملك هارولد اذ لحق بهِ مغاضباً وذلك لان اخاهُ هارولد كان قد انالهُ في زمن الملك ادورد الامارة على نورثمبريا كما مرَّ بنا فلم يجد منهُ بعد ذلك اخلاص الاخ بل اوجس منهُ خيفة على الاريكة ان يناظرهُ فيها حتى اذا وقع الهرج في تلك الامارة فرَّ توستيك منها الى فلاندر واقام ثمة يرقب الاحوال فعلم ان اخاهُ اعطى امارتهُ لموركر من آل ليوفريك شقيق صاحب مارشيا فاصبح كلاهما من اعوانهِ وما عتم ان افضت الاريكة اليهِ فالحق توستيك بهارالد هاردرادا وشرع يزين لهُ الاغارة على بلادهِ وقومهِ حتى نهض وعبى الجيش وجهز السفن كما مرَّ

فلما علم الملك هارولد بالغزاة انزاح عن مرابطة الثغور الجنوبية واغذ السير الى يوركشير فبلغها في اربعة ايام . وباغت الاعداء عند ستامفورد بردج واصلاهم حرباً عواناً فلقي منهم كفاحاً عنيفاً وكاد لا يقوى على القاء الوهن في صفوفهم لتألبهم على بعضهم فاظهر الانكسار خدعةً واحتيالاً حتى اذا تفرقوا لملاحقتهِ كرت عليهم ابطالهُ واثخنوا فيهم قتلاً وجرحاً فنالوا الظفر بعد ان قتلوا الملك هرالد هاردرادا!

وسر الملك هارولد بظفرهِ ولئن اشتراهُ بدماء نخبةٍ من شجعان رجالهِ الاَّ ان سرورهُ لم يكن طويل الامد لان الدوك وليم كان قد نزل البر غير معارضٍ ذلك لانهُ كان منذ اواسط شهر اغسطس قد حشد السفن عند مصب نهرٍ صغير بين السين والاورن اسمهُ نهر ريف وساق الى الجوار خمسين الفاً من الابطال وعشرة آلاف من الجند ولبث ينتظر الفرص لركوب البحر بهذا الجيش الكثيف وما يحتاجهُ من الكراع والمتاع الاَّ ان الرياح كانت مضادةً فجعل الدوك يسدّد تنظيم جيشهِ وينظر في مهماتهِ تأهباً للعمل العظيم وهو يرقب الريح حتى قرب زمن الاعتدال الخريفي واصبح المهب من الشمال الشرقي متجهاً صوب الغرب فركب الغزاة البحر وما اقلعت بهم السفن حتى تغير مهب الريح وعصفت الغربية بنوئها فارتدَّت السفن الى السواحل الافرنسية بعد اذ تحطَّم بعضها وغرق بعض فادى، ذلك الى تذمر النورمانديين وملالهم من الحرب حاسبين ان العناصر تذود عن الانكليز وما دروا ان العاصفة كانت من انصارهم لانها

ساقت النروجين الى انكلترا واشغلت هارولد بهم عن مرابطة الثغور فابتسمت لهم حين اقتربوا منها وناهيك ان العمارة التي اتخذها الملك هارولد من قوارب الصيادين وسفن النقل وملأها بالرجال والسلاح وجعلها على خفارة السواحل شُغلت ايضاً بعد مواقعة النروجيين بحشد المؤونة والذخيرة لابناء جلدتهم الذين انفقوا ما اذخروهُ من ذلك في لقاء الاعداء. اما الدوك وليم فلم تكد تلك العثرة لتنعل شيئاً في عزيمتهِ بل شرع يحمّس القوم و يستنهض همهم حتى عادت الريح فهبَّت جنوباً فنشر شراع سفنهِ ومخر البحر الى انكلترا فلم يجد في البلوغ اليها معارضةً فوطىء البر في خليج من ولاية سوساكس بين بافنساي وهاستنس وذلك في ٢٩ ايلول سنة ١٠٦٦

وكان الملك هارولد يقيم الافراح في مدينة يورك لظفرهِ بالنروجيين فجاءهُ الخبر بنزول عدوهِ الى البر فزحف للحال للقائهِ ولما بلغ لندن اقام بها ستة ايام اصدر خلالها الاوامر بحشد الجنود وتجدع السفن على ضفاف سوساكس ثم اسرع الكرة غير مبالٍ بالجهد ولا مكترث بعديد العدو لانهُ قد سكر بخمرة الظفر والاَّ فان لندن وغيرها من البلدان كنَّ يعظمن قدرهُ و يطعن امرهُ ألا تراهنَّ وقد اسرعن لتقديم بنيهنَّ اليهِ فجمع منهم عسكرًا وسار بهم مسرعاً ابتغاء مباغتة النورمان كما باغت النروجيين فلقي من حذر وليم ودهائهِ ما لم يكن في حسبانهِ

وكان من الدوك وليم عند نزولهِ الى البر ان عثرت رجلهُ فوقع على كلتا يديهِ فصاح بعض جماعتهِ ان تلك علامة الشؤم فاجابهم لساعتهِ بل ان ذلك فألٌ حسن فاني وعظمة الله لقد [illegible] ي فهي الآن لي وما هو لي فهو لكم

[illegible] ن على سيف البحر الى هاستنس واقاموا هنالك معسكرًا حصيناً وكانوا قد قطعوا ثلاث قلاع من الخشب احكموا صنعها في بلادهم وجاءوا بها قطعاً لا تحتاج في تشييدها الاَّ الى شدها بالمسامير فلما نزلوا البر نصبوا قلعةً منها وفي اليوم التالي نصبوا القلعتين الأُخريين عند هاستنس وشرع الذين يمتارون للجيش بالسلب والنهب لئلا ينفد ما جاءوا بهِ في سفنهم ففرَّ الاهلون من مساكنهم ابتعاداً عنهم وخلت الديار للظافرين فانفذ الدوك وليم بعض الشراذم من الفرسان لارتياد البلاد فرأَوا الجيش الانكليزي زاحفاً عليهم فنكصوا على الاعقاب حتى انضموا الى قومهم يخبرونهم بمجيء الانكليز سراعاً اما هارولد فأُسقط بيدهِ لانهُ لم يستطع ان يأخذ العدو على غرةٍ فغيَّر منهاج حربهِ بان نزل على سبعة اميال منهُ وبعث يدس الجواسيس في مصاف النورمان فعادوا اليهِ يخبرونهُ ان الجيش مملوء بالكهنة اكثر منهُ بالكماة ذلك لانهم رأَوا ازياء النورمانديين شبيهةً بزي اهل الكهنوت فحسبوهم منهم الاَّ ان هارولد كان عارفاً بحقيقة الحال فصرَّح بها

وعرف هارولد ان الجيش النورماندي اوفر منهُ عدداً فلم يعبأ بهِ ولا عمل بنصيحة بعض رجالهِ الذين اشاروا عليهِ ان يرتدّ الى لندن ولا يبقي في طريقهِ اليها على شيءٍ من الزاد والذخيرة فلا يمضي الزمن الطويل الاّ وقد احتاج النورمان الى تلك اللوازم فلا تقدر سفنهم على السفر للامتيار من بلادهم لوقوف السفن الانكليزية لها بالمرصاد فيضطر الدوك ان يزحف بجيشهِ الى لندن طلباً للقوت فلا يجد على مدى طريقهِ الاَّ جوعاً شديداً وامراضاً وبيلة تغني الامة الانكليزية في هلاك النورمان عن القتال ــــ . ولو عمل هارولد بهذهِ المشورة لنجت انكلترا من الفتح النورماندي ولكن هي عزة الملك وانفة البسالة رفعت بنفس هارولد عن الارتداد وهو الاشفاق ان يسلب قومهُ بيدهِ وان يشقي بلادهُ بامرهِ زين لهُ الموت في دفع الملمة على الحياة في ايصال الاذيَّة لمن احبَّ

وكان في صحبة الملك اخواهُ كارث وليوفون فاشار عليهِ الاوَّل ان يتغيب عن القتال لانهُ مثقل بحنث اليمين و يبقى هو واخوهُ في الجيش يحاربون دفاعاً عن الوطن فابى الملك ان يتخلى عن قومهِ في زمن المحنة وتحصَّن في موقفٍ منيع يدل اختيارهُ على معرفتهِ بالفنون الحربية معرفة القائد المحنك فان الهاجمين كانوا لا يقوون على المحاربين فيهِ اذا نازلوهم من الامام خيفة ان يؤخذوا من الجانبين وكان الى وراء الموقف غابة كثيفة يستطيع هارولد ان يجمع فيها شتات جيشهِ اذا وهن وشتَّ واقتدر العدو على اخذ مركزهِ المنيع اما النورمان فانهم لا ينجون من الوبال اذا اندحروا

ونصب هارولد اللواء الساكسوني في موضعٍ ارتأى ان العدو يها
وحولهُ رجال كنت الذين كان يحق لهم ان يبدأوا القتال متى كان الملك معهم وكذلك رجال لندن ومن حقهم يومئذٍ ان يكونوا حراس الملك والراية . وما لبث ان ظهرت فيالق النورمان وبدأَت في المهاجمة على النسق الذي تصورهُ هارولد الاَّ ان وليم لم يباشر القتال فوراً بل بعث للملك راهباً اسمهُ هوك مايكرو يسألهُ واحدةً من ثلاث اما ان يتخلى عن الملك لمناظرهِ الدوك واما ان يذعن لتحكيم البابا او ان يبارز الدوك فابى الملك الاجابة الى شيءٍ من ذلك لان تملكهُ كان باتفاق الامة فلا يسوغ لهُ التخلي عنها ولا تعليق امرها على حكم اجنبي او فصلها بالمبارزة بين اثنين. ولكن هذا الجواب لم يقطع الجدال اذ اعاد وليم الرسول يعرض على هارولد التسليم على ان يكون لهُ ملك ما وراء هامبر ولاخيهِ كارث امارة ابيهِ وامر الرسول قائلاً اذا اصرَّ على عنادهِ فقل لهُ على مسمعٍ من ذويهِ انهُ حانث بيمينهِ وكاذب بوعدهِ ومحروم من الحبر الاعظم فادّى الراهب رسالتهُ فارتاع عظماءُ الساكسون لدن سمعوا كلمة الحرم وتناظروا

فقال واحدٌ منهم لا تراعوا ايها الشجعان فانّا مندوبون للدفاع كيف كان الحال لان القضية ليست في اختيار الملك الواحد دون الآخر ولكنها ذود عن ذمارنا وما ملكت ايماننا فاذا غلبنا الدوك على الملك فينا فهو مرتبط مع انصارهِ على ان يعطيهم كما نملك من كثير وقليل فماذا يحل بنا اذا سلمنا والى اين نذهب بعيالنا واولادنا فاصغى القوم لمقالهِ وتحالفوا على الدفاع حتى الرمق الاخير

فلما لم يجد الفريقان من الحرب بدًّا باتا على عزم القتال في الصباح التالي الا ان حالهما لم يكن واحداً اذ ان الساكسون قضوا ليلتهم فرحين طربين يبوقون ويهتفون ثم يشربون الخمور غير واجسين خوفاً بخلاف النورمان فانهم بعد اذ القوا النظر على اسلحتهم وخيولهم قضوا السنة المذهبيّة بالاعتراف ومناولة الاسرار المقدَّسة ثم ناموا ملء جفونهم حتى صباح ١٤ اكتوبر (ت ١) فنهضوا وصلوا فروضهم وانضووا تحت اعلامهم اما الامراء منهم فانهم التفوا حول الدوك وليم فأمر ان يقسم الجيش الى ثلاثة فيالق تهاجم الاعداء في وقتٍ واحد معاً ووقف ببطانتهِ على رابيةٍ يتشرف منها الموقع وخاطبهم قائلاً انهُ واثق بالنجاح لان جيشهُ شديد الحول وفيهِ الامراء الابطال المخلصون الذين سيكون لهم ما ينال من المغنم فهتفوا لهُ هتافاً شديداً مؤكدين ان ليس بينهم جبان او رعديد وانهم موطنون النفوس على الموت في سبيلهِ فشكرهم واشار عليهم ان يبلوا في الاعداء بلاءً حسناً والاَّ تلهيهم الاسلاب لانها لا بدَّ ان تكون لهم في آخر الامر فيقسمها بينهم على السواء ثم قال ايَّاكم والاستئمان او الهرب لان الانكليزي لا يحب النورمندي فلا يبقي عليهِ فلا تأخذكم الشفقة عليهم لانهم يفتكون بالجبان الهارب كفتكهم بالبطل المحارب والى اين المفرّ من القتال أالى البحر فانكم لا تجدون ثمة سفناً تنقلكم او جسوراً تجتازون عليها الى بلادكم فيلحق الانكليز بكم ويقتلونكم وانتم مسربلون بالذلة والعار. واذ ان الفرار لا ينجيكم فليس لكم الاَّ القتال والصبر على اهوالهِ فتغلبون والظفر الذي جئنا في التماسهِ مكللاً بالمجد قريب المنال منا اذ اصدقنا في الضرب. وعلى هذا النسق كان يخاطبهم واذا بواحدٍ من عظمائهِ يقول لهُ لقد ابطأنا يا مولاي فهلمّ بنا فاسرعوا الى خيامهم وشكوا في سلاحهم وجاؤُا الدوك بدرعهِ وصدرتهِ واذ لم يكن منتبهاً لبس الصدرة مقلوبةً فتشآم بعض الحضور فقال لهم انهُ لا يتطير وانما يسلم الامر لله المتعال وهو فعالٌ لما يريد وانهُ بالاحرى يتفآل خيراً من ان الصدرة كانت منقلبةً فاصلح لبسها اشارةً الى انهُ سينال الاريكة الانكليزية ويصير ملكاً بعد اذ كان دوكاً

ثم دعا بالراية المباركة وسلمها لاحد ابطالهِ ثم عهد بالقيادة على احد الجانبين لدى

مونكوميري يعاونهُ وليم اوسبر ومعهما فرقتاهما ورجال بولون وبوا وعسكر النورمان وعهد لالين فرجر وامري بقيادة رجالهما والبريتون الفرنسيين وكل فرق بارونات الماين لمهاجمة الجانب الاخر فبقي لقيادتهِ بطال قومهِ واصدقاؤُهُ وانسباؤُهُ ليهاجم بهم القلب حيث يحتدم القتال شديدًا

وكان الجيش مؤَلفًا من الرجالة والفرسان اما سلاحهم فالسيف والرمح والنبال وسلاح الانكليز السيف والرمح والبلطات والنبوت والهراوة

ولما وقع المصاف تقدم مشاة النورمان اولاً ووراءهم الفرسان فرماة النبال وخاطب هارولد قومهُ محمسًا ومحذِرًا من التفرق والشتات لان الصف اذا لم يبقَ محكمًا غلبهم العدو ولقد صدق الملك لانهم لو ظلوا على تجمعهم وراء السياج الذي اقاموهُ من الاشجار وعززوهُ بالمجان لما نال النورمان منهم وطرًا

وامر هارولد رجال كنت ان يقفوا حيث ظنَّ النورمان يبدأُون بالقتال ليكون لهم ان يضربوا الضربة الاولى وامر رجال لندن بخفارة العلم فلما خف القوم لاتمام اوامرهِ ترجل ووقف للقتال بجانب رايتهِ ووقف معهُ اخواهُ وسائر امرائهِ. وتقدم النورمان بقدم راسخة وكان بينهم منشد رخيم الصوت يتغنى بالاناشيد الحماسية حتى اقترب العسكران فدنا من الدوك وليم وسأَلهُ ان يأْذن لهُ بابتداء القتال فلما اجاز تقدم وقتل رجلاً من الانكليز فقتلهُ غيرهُ فاحتدم القتال بين الجيشين وراجت سوق المنايا

وكان وراء موقف النورمان حفرة ففي ذات مرةٍ ارتدوا امام الانكليز فسقطوا في الحفرة وقتل منهم كثيرون ورأَى حفظة المتاع ذلك فحسبوا جيشهم قد انكسر وكادوا يولون الادبار لو لم يأْتهم اودو اسقف بايو اخو الدوك وليم يشجعهم ويؤَكد لهم قرب الظفر وما زالت الحرب سجالاً من الساعة التاسعة صباحًا حتى الثالثة بعد الظهر وكان رماة النورمان يسددون سهامهم على الانكليز فلا تصيب منهم الاَّ الاتراس فامر الدوك ان يرشقوها صعدًا فتنحدر على رؤُوسهم ووجوههم فكان ما حسب اذ نزلت عليهم كأَنها المطر الهتون واضرَّت بكثيرين في عيونهم واصاب نبل منها عين الملك هارولد فقلعها وأَلمهُ شديدًا فمد الملك يدهُ وانتشل النبل من عينهِ وحطمهُ حنقًا ورماهُ بعيدًا ثم اتكأَ على مجنهِ متأَلمًا

ورأَى الدوك ثبات الانكليز فامر ان يتظاهر قومهُ بالتقهقر حتى يخرج الاعداءُ من محصنهم فيرتدون عليهم فلما كان ذلك برز الانكليز في اثر اعدائهم يضربون في اقفيتهم حتى بعدوا قليلاً عن محصنهم فكر النورمان عليهم وابلوا فيهم البلاء الحسن حتى ردوهم الى المحصن فلم يغنهم عن الانكسار فتيلاً فارتدوا الى موضع العلم واحاطوا بهِ ذودًا عنهُ وتبارى ابطال النورمان

في قصدهِ فما نالوا اربًا ولكن الدوك وليم كان متجهًا نحوهُ بجميع عسكرهِ فلقيهُ احد ابطال الانكليز وضربهُ بالبلطة على رأْسهِ فكاد يخمد انفاسهُ بل ظنهُ وقع قتيلاً فلحق النورمان بالانكليزي وقتلوهُ واما الدوك فلم يصب بسوءٍ ولئن ذاع بين قومهِ انهُ قتل فكشف الخوذة عن رأسهِ وقال هوذا انا سليم ولا بدَّ من الظفر ثم لوى عنانهُ صوب العلم فقتل هنالك كارث اخا الملك وكان رجال كنت واساكس يبلون في القتال بلاءً بديعًا فارتدَّ النورمانديون امامهم ولكنهم عادوا فتأَلبوا واندفع الدوك بهم الى موضع العلم الانكليزي وهنالك رأَوا هارولد في جملة من يذود عنهُ غير مكترثٍ باقتلاع عينهِ فنازلوهُ وقتلوهُ واخذوا العلم بعد ان فتكوا بمن حولهُ ولكن ذلك لم يمنع سائر الانكليز من البقاء على القتال حتى ذاع خبر مقتل ملكهم واخذ الراية فخاب رجاؤُهم وولوا الادبار

وسر وليم بما احرز من النصر فامر برفع رايتهِ موضع الراية الانكليزية ونصب سرادقهُ بقربها بين القتلى كانهُ اصبح لا يعبأُ بانين الجرحى وحشرجة المحتضرين وامر بطعامهِ فأُعدَّ لهُ هنالك واكل مريئًا وشرب هنيئًا بعد ان شكر الله علي نعمتهِ واثنى الثناءَ المستطاب على انصارهِ مؤَبنًا من مات منهم في سبيلهِ فاندفع القوم يمدحون بسالتهُ ويطرأُون اعمالهُ وفي صباح اليوم التالي دفنوا قتلاهم وجاءَ نساءُ الجوار وبعض الكهنة وحملوا قتلاهم فدفنوهم في الاديار والكنائس

ولقد زعم بعض الكتبة ان الجرح الذي اصاب هارولد كان سببًا في انكسار قومهِ لانهُ شغل بالمهِ عن تدبير الموقعة والاَّ فلا يعقل ان الذي ينتصر قبل ايام بخدعة الهرب يؤْخذ بمثلها في ذلك اليوم وانما الذنب في ذلك على ابطالهِ الذين جاهدوا احسن جهادٍ فلما تظاهر العدو بالقهقرى حسبوا ثمار بسالتهم دانية القطوف فسارعوا الى جناها ولم يحسبوا للخدعة حسابًا. ولقد اثنى كتبة النورمان وشعراؤُهم على بسالة هارولد وتدبيرهِ ويظن انهُ لو سلم غير واحدٍ من اخوي هارولد او من امرائهِ لجمعوا شتات الانكليز بعد اندحارهم ووقفوا بهم موقفًا آخر اطال الحرب واضرَّ كثيرًا

اما الخسائر فكانت فادحة لان النورمان فقدوا في ذلك اليوم ربع جيشهم اي خمسة عشر الفًا ولا تعرف خسارة الانكليز

وكان هارولد قبل اختيارهِ ملكاً قد بنى ديرًا سماهُ ديرولثام فلما زحف للحرب اصطحب معهُ راهبين من رهبانهِ ففي صباح اليوم التالي جاءَ الراهبان يسأَلان الدوك وليم ان يأْذن لهما بالبحث عن جثت الملك فاجاز لهما ذلك ولكنهما لم يعرفاهُ لان النورمان كانوا قد شوهوا كثيرين من القتلى فاستدعيا احدى النساء العارفات بهارولد فعرفتهُ وفي خلال ذلك طلبت امهُ

من الظافر ان يأْذن لها بدفنهِ فاجابها وهو غاضب ان من كان حانثاً بيمينهِ ومارقاً من دينهِ لا يصح ان يُدفن الاَّ على رمال البحر وانهُ كان في حياتهِ مرابطاً للثغور فليبقَ على خفارتها وهو ميت غير ان الحاح ام هارولد غلب علي غيظ الدوك وتمنعهِ فاذن لها بدفنهِ فحُمل الى دير ولثام ودُفن ثمة عزيزاً مكرماً

وامر وليم ببناء دير علي اكمة سنلاك تذكاراً لظفرهِ فبني الدير وسمي دير القتال وآثارهُ باقية الى اليوم

وبعد ان استراح الدوك اياماً زحف فاكتسح البلاد وخضد شوكة المعارضين وما هم بالشيء المهم لانهُ لم يكن قد بقي حيٌّ من اخوة الملك هارولد وكانت ارملة الملك ادورد سائدةً في ونشتر فلما دنا الظافر منها سلَّمت اليهِ الاَّ ان صبيا من البيت الملكي القديم اسمهُ ادكار اثلن اختارهُ الانكليز ملكاً عليهم وعضدهُ بعض الامراء وارادوا الامتناع بهِ في لندن ولكن لما دنا وليم منها وتوعدهم خافوا وفروا الى اوطانهم فسلمت لندن اليهِ اذ ارسلت اليهِ وفداً من عظمائها يتقدمهُ الملك الحدث فقبل الظافر التسليم وفي عيد الميلاد توّج ملكاً علي انكلترا في وستمنتر من يد رئيس الاساقفة الدرد . ومما يحكى ان احد الاساقفة الحاضرين سأَل سراة النورمانديين الحاضرين باللغة الافرنسية عن ارتضائهم بتتويج الدوك وليم ملكاً فاجابوهُ بالايجاب ثم سأَل غيرهُ بالانكليزية لعظماء الساكسون عن ارتضائهم بهِ فاجابوا موجبين ايضاً وهللوا لهُ تهليلاً عظيماً وكان في ظاهر الكنيسة شرذمة من ابطال النورمان فلما سمعوا التهليل لم يفقهوا لهُ معنى بل حسبوا تلك ضوضاء بعض المؤتمرين على سيدهم فحنقوا واندفعوا على الدور المجاورة يحرقونها فوقع الهرج والاضطراب وخرج كثيرون من الامراء والعظماء من الكنيسة لتسكين الثائرة فلم يبقَ في حفلة التتويج الاَّ الملك والاساقفة الخائفون

ومع تتويج وليم الفاتح ملكاً لم تكن كل انكلترا خاضعةً لامرهِ لان نورثمبرلند ابت الاذعان مع ان حكمهُ كان حسناً اذ اعاد الامن الى البلاد واجرى العدالة ولم يجنف الاَّ على بعض المشاغبين واراد ان يتعلم الانكليزية ليفهم تظلم رعيتهِ فما نال منها ارباً. وفي سنة ١٠٦٧ ذهب الى نورماندي لينظر في شؤُونها وعهد بالنيابة عنهُ لاخيهِ الاسقف اودو فجار كثيراً حتى استفز اهل كنت لشق عصا الطاعة فجاءهم الملك واخضعهم. وفي السنة التالية اغرى ملك الدانمرك بعض الاقطار على الثورة فجاءها الملك وكبت الثائرين واسرف في الانتقام فدانت البلاد لهُ حيناً ثم وقع شيءٌ من الهرج لان ادكار اثلن كان قد التجأَ الى مالكولم ملك اسكتلاندا وازوجهُ من اختهِ الحسناء واستعان ادكار بهِ على استرجاع ملكهِ ولكن الملك وليم كان للاعداء

بالمرصاد فضربهم ونكّل بهم وزحف يقصد اسكتلاندا فجاءهُ ملكها يحلف لهُ ايمان المودة والولاء

هذا هو الفتح النورماندي بجميع ظروفهِ واحوالهِ الاَّ ان لهُ اثرًا مجيدًا في تاريخ انكلترا نلخصهُ عما كتب بعض المؤَرخين قال. انهُ اذا اراد ان يتصور انكلترا وقد فتحها النورمان تعين عليهِ ان يتصور ذلك الفتح غير مقصورٍ على الانقلاب السياسي في الحكومة ولا على ظفر احد المتناظرين بخصمهِ وانما عليهِ ان يرى دخول شعبٍ على اخر وقيام مجتمعٍ فوق مجتمع قياماً مغصوبًا اودى بالمجتمع الاول بحيث لم يبقَ منهُ الاَّ بقية هي الصبغة الوطنية وانهُ لا يستطيع ان يتمثل وليم ملكاً مستبدًّا ولا رعيتهُ كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم انهم انكليز لانهم يسكنون انكلترا بل عليهِ ان يتصورهم امتين الواحدة كان وليم منها وزعيماً فيها كلتيهما خاضعتين لوليم ورعيةً لهُ الاَّ ان كلمة رعية تختلف في مؤَداها عنهما فهي في احداهما تفيد معنى التابعية وفي الاخرى معنى الخضوع بل عليهِ ان يعتبر ان ثمة قطرين في دائرةٍ واحدة احدهما للنورمان وفيهِ الغنى والحرية والآخر للساكسون وفيهِ الفقر والرق ينغصهُ الاستئجار والحراثة وترى القطر الاول مملوءًا بالبيوت المشيَّدة الاركان والقلاع المحصنة . واما الثاني ففيهِ اكواخ من القش مبعثرة واعشاش خربة. تلك الدور الرحيبة يسكنها اهل السعادة والنعيم ورجال البلاط والحرب واهل الفروسية والنبالة وهذه الاكواخ الحقيرة يعمل بها اهل الكد من كل عاملٍ في الزراعة والصناعة فمن الجهة الواحدة ترفٌ واساءةٌ ومن الاخرى شقاءٌ وحسد وليس الحسد هنا ما يشعر بهِ الفقراءُ لاهل السعة حين لا ينالونها ولكنهُ حسد المسلوب من نعمة السالب . انتهى بتصرفٍ

الاَّ ان هذا الشقاء الذي وصفهُ المؤرخ كان سببًا لعظمة الانكليز ذلك لانهم اتحدوا في ضيقهم يدًا واحدة واطرحوا اسباب الشقاق وشعروا بوحدة الوطنية حتى اذا جاءتهم نعمة الوئام وحسن الحال نهضوا كلهم امةً واحدة ليس بينهم انكلوساكسوني ولا نورماندي ولكنهم كلهم انكليز

ولقد صدق القائل ان الانكليز مدينون بحريتهم للفتح النورماندي ولا عبرة بالقول ان النظام الساكسوني كان حرًّا فانما كان كالماء الراكد فلما جاء الفتح بعث في الناس فضائل كانت خافيةً من قبل

[المقتطف] كان في هذه المقالة حواشٍ كثيرة تدلُّ على كتب التاريخ التي اعتمد الكاتب عليها فحذفناها لضيق المقام ولان هذه الكتب غير مترجمة الى العربية ليسهل الرجوع اليها

التنازع والتعاون

لحضرة الكاتب الفاضل فارس افندي الخوري

ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ   ولو رام اسباب السماء بسلَّمِ
ومن لا يزلْ يستحمل الناس نفسهُ   ولم يُغنها يوماً من الدهر يندمِ
ومن يغتررْ يحسبْ عدوًّا صديقهُ   ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومن لا يَذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ   يُهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظْلَمِ
ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ   يضرَّس بانيابٍ ويُوطأ بمنسمِ

ابياتٌ قالها زهيرٌ وهو بعد في شظف الجاهلية دائب مع معاصريهِ في ردّ الهجمات وشنّ الغارات. ايام لم يكن حدٌّ لقوة القوي يقوم ردًّا بينهُ وبين المستضعَفين ولا وازع يزَعُ المتطلع الى ما في يد الغير الاَّ الضعف وقصر الباع: ايام كان الناس لا يفقهون معنى الخير والشر الاَّ بما يترتب عليهما من الغنم والغرم ولا يفرقون بين المحلّلات والمحرمات الاَّ اذا اعتبروها بما تنتج لهم من الربح والخسار وتسوق اليهم من المنافع والاضرار. ايام كان القويُّ يقتعد غارب الضعيف ويصرّفهُ في كل وجه ولا ينفكُّ يسومهُ خسفاً ويزيد على ضعفهِ ضعفاً الى ان يجتاح اصلهُ ويقتلع جرثومتهُ فيستأْثر بما لديهِ من الرزق غنيمة باردة

وليس زهير باول من اقتدح هذا المعنى او اختطَّ للناس هذا السبيل فلولا ان اياتهُ وافقت مقتضى الحال وجاءت مترجمة لما في نفوس اهل عصرهِ لما تلقفتها الآذان وذخرتها في خزائن العقول فعدَّت من البلاغة بمكان وحفظت الى هذا اليوم بالحرص والاعجاب. وليس هو ايضاً آخر من انزل هذه المعاني منزلة الحقائق وعدَّها قبساً يستضيء بهِ كلُّ من عاش يقارع الايام ويدالك آفات العمران. فما زالت الدنيا كما كانت مكاسب والناس مخلدون اليها متغاوون بحبها يكره بعضهم بعضاً ويختطف العزيز حظ الذليل الى ان يأْذن الله بفلّ المطامع واشتراك المصالح وذلك بقلب حالة العمران وتبديل بنية الانسان

يزعُم البعض ان الحالة اليوم هي خلاف ما كانت امس وان حق القرن التاسع عشر غير حق القرن السادس وما قبلهُ وقاموا يطالبون الفرد بان يحبَّ الناس مثل حبهِ لنفسهِ ويؤثر خير الاغيار على خيرهِ قاطعين ان هذه الغيريَّة هي الانسانية الحقة وان الفرد لا يجمع مقوّمات الانسان الاَّ اذا اهمل امر نفسهِ وجعل حياتهُ وقفاً على نفع ابناء جنسهِ وذلك ما يسمونهُ انكار النفس وينادون بهِ على المنابر. فهم قاموا يتقاضون الفرد امراً يأْباهُ طبعهُ وتنبو عنهُ اميالهُ

والعمران البشري لا تثبت لهُ قدم اذا سلك بهِ القائمون عليهِ ذلك السبيل . نعم ان التنازع اليوم يظهر في قيافةٍ غير التي ظهر بها لانسان الكهوف انما المحار الذي تردّ اليهِ طرق الارتزاق هو هو امس واليوم والى الابد اي ان كل فردٍ يحاول ليعطي قليلاً ويأخذ كثيراً اما في الهمجية والبداوة فقد كانت وسيلة استلاب ما في يد الاغيار غير الوسائل في الحضارة فقد اتفقت الغايات وان اختلفت الوسائط

لا جناح على المرءِ اذا استخدم القوة التي لديهِ لتقوية حرزهِ ونفع نفسهِ فالقوة مدار التعيّش بل هي مدار الوجود لانها فاعلة على جميع اجزاءِ المادَّة من حيّ وجماد وبفعلها هذا تؤثّر فيها تحويلاً لجهة الحركة او سرعة فيها او تبديلاً للصفات الموحدة لمركباتها ولولا فعل القوة على المادَّة لما تمَّ شيءٌ من النشوء الذي اوصل الاكوان الى ما هي عليهِ اليوم . وكما ان اختلاف القوة يبدّل خواصّ المادَّة وهي في الاصل واحد كذلك قل عنها بانها تقسم المراتب وتوزع المنازل بين الافراد الذين يتأَلف منهم المجتمع البشري . وليس من شأْننا في هذه الرسالة ان نفيض في تقصي الاسباب التي جعلت بين الناس اختلافاً في مقدار القوة لكلٍّ منهم فذلك بحثٌ يرجع بنا الى اسباب جمة اهمّها طبيعة الاقليم ونوع المعيشة والارث النسلي وغيرها . ولا نعني بها القوة العضلية فقط بل جميع ما يملكهُ الفرد من الوسائل لتعزيز منزلتهِ واعلاءِ كلمتهِ بين مساكنيهِ فهي اذن قد تكون نشاطاً في الحركة او مالاً في الجيب او سعةً في العقل او غير هذه من المزايا التي يستظهر بها الفرد في ميدان التنازع وتكون لهُ عضداً لنيل رغائبهِ وردّ خُدَع المعتدين عليهِ الى نحورهم . ومن كان لهُ مزيَّة مما اسلفنا على اصحابهِ يتحتم عليهِ ان يستخدمها في نفع نفسهِ ويبذلها في السبل التي تجرّ لهُ المغانم او تدفع عنهُ المغارم . ومن نفل قدراً من قوتهِ لنفع غيرهِ بدون ان يرجو عوضاً يزيد مبلغهُ عما بذل عُدَّ في عرف الاقتصاد مسرفاً بما لديهِ وهو اذا استمرَّ يعاود هذا العمل حقيق بان يصبح معدماً ضعيفاً ويحلّ بهِ الاملاق عوض البسطة والضيق بعد السعة والعجز بعد الاقتدار ومن ثمَّ يعود عيّلاً على اصحابهِ الذين كانوا عيالاً عليهِ ويصير مع امثالهِ حملاً باهظاً لكاهل الانسانية

ثم لو فرضنا ان الفرد مطالب باستهلاك جزءٍ من قوتهِ لتأْييد مصلحة الغير تكون ولايتهُ على الناس عامة وولايتهُ على نفسهِ خاصة والولاية الخاصة اقوى من الولاية العامة ومقدمة عليها ولذلك قالوا ابدأْ بنفسك ثمَّ باخيك

من ينعم نظرهُ في طبقات الاحياءِ من ادناها الى اعلاها يجد ان الطبيعة لم تكل حيًّا بحيٍّ آخر ولا كلفت فرداً ان يعول فرداً آخر الاَّ ما كان من قبيل النسل وهو بعدُ في طور

الاعتماد على والديهِ بل ان ما يُلقى يخالف ذلك تماماً ففي العجماوات يجد النزاع والمطاردة والافتراس والمهاوشة وفي الانسان يجد المغالبة والاسترقاق واختلاس الاموال وافتراش الاعناق وكل فردٍ يسعى في استدراج الخير لنفسهِ دائباً لا يفتر. وانهُ اذا لم يذد عن حوزتهِ وينضح عن نفسهِ ويجهد في اشخاص راسهِ فوق هام من حولهُ جدير بان يفتات على حقهِ فيضرسهُ الدهر بالناب وتعرّقهُ الايام بالظفر

في ما تقدم من الكلام مخافةُ التضليل والايهام فان القارىء اذا لم يكن بعيد المرمى جديرٌ بان يحمل كلامي على غير القصد ويطردهُ الى جهاتٍ غير محمودة المغبّات لانهُ اذا اخذهُ على عواهنهِ مجرداً عن اعضاد الاستقراء يفهم منهُ انهُ لا يجمل باحد ان ينفع الناس وان حبّ الذات فضيلة جليلة لا يصير الانسان انساناً الاّ بالقيام عليها فمن ثمّ صار واجباً عليَّ ان آتي بجملة تفسيرية لاجل اصلاح ذات البين قبل ان اتخطى هذا الموقف الى اتمام الكلام في وجوب ايثار النفس واليك ما اريد :

من الاقوال المأثورة قولهم "احيَ للناس ليحيا الناس لك" وذلك مبنيٌّ على ان الفرد لا يطيق الانفراد ولا يستطيع ان يعيش وحدهُ ومهما كان لهُ من القوى المادية والعقلية لا يغني ذلك عنهُ شيئاً ان لم يلتمس المساعدة من الناس. فالمرءُ مضطرٌّ الى التعاون لان بهِ ثبات المجتمع الانسانيّ وبما ان الفرد مشمول باضلاع الهيئة الاجتماعية ومكتنف باحوال تفعل على راحتهِ فتتكيَّف بمقتضى تلك الاحوال صار واجباً عليهِ لاجل قوام راحتهِ واستجماع الخير لنفسهِ ان يهتمّ باصلاح المحيط الذي يلتف بهِ كما انهُ يجب عليهِ ان يصلح البيت الذي يعيش فيهِ ليدرأَ عنهُ الحرَّ والقرَّ ويسكن فيهِ مطمئناً لان الهيئة الاجتماعية بمنزلة بيتٍ للفرد تتقاضاهُ تقويم معوجها واصلاح الفاسد منها حرصاً على راحتهِ وتزلفاً الى خير نفسهِ

اذا رأَيت رجلاً قد قطع الطريق على آخر وهو يحاول اخذ ما معهُ من المال فانت مطالَب من قبل نفسك بان تقبل على المعتدي القوي بوسائلك وتدافع عن المظلوم الضعيف بان تقتصَّ من الظالم وتردّ كيدهُ الى نحرهِ وان لم يكن لك يدٌ بهذا العمل فعليك ان تجمع عليهِ اصحابك وتقوّم عوج المعتدي بالضرب على يدهِ وردّهِ الى سبل الاستقامة. هذا اذا كنت في قبيلٍ لم تنظم شؤُونهم ولم ينصب فيهم آمرٌ مطاع وناهٍ وزّاع تفضي الامور اليهِ. اما اذا كنت في بلدٍ اقيم فيهِ قسطاس العدل على داركٍ اجتمع عليهِ راي الامة فعليك ان تسرع لاشعار اولياء الامر ليقوموا بما كان واجباً عليك. وان قلت لا يعنيني واحجمت عن مساعدة الضعيف الساقط وفعل غيرك مثل فعلك لا يعتمّ البطالون والكسالى ان يجعلوا اختطاف اموال

الناس والاعتداء عليهم حرفةً يحترفونها ولا يمرُّ كثيرٌ او قليل حتى تراهم يتسلقون جدران منزلك او يعالجون بابك او يقطعون عليك الطريق فتكون قد مهّدت امامهم سبيلاً ليسلبوا راحتك وينغصوا عليك اعمالك . وهكذا تكون العاقبة اذا عدّى كل فردٍ عن اغاثة من يستغيث بهِ من ابناء جنسهِ وقام ينظر في شؤون نفسهِ دون ان يبذل كثيرًا او قليلاً في سبيل اسعاف الناس . وانت ترى ان كل عرفٍ يوليهِ المرءُ غيره يدور طويلاً او قصيرًا ويعود اليهِ بحسنةٍ تربو عليهِ. وان لم يكن الطرفان متكافئين في استطاعة كلٍ منهما اعانة الآخر في عبءٍ ينهض بهِ الواحد وينوءُ بهِ الآخر لا تقوم للتعاون قائمة ولا تثبت للغيرية قدم ولهذا قالوا " لا ترجُ خيرَ من لا يرجو خيرك ولا تركن الى من يخاف شرّك "

نعود الآن الى بيان مصير من يهمل امر نفسهِ حبًّا بمنفعة غيرهِ . فنقول : من اخطر واجبات الانسان ان يهتم بشأن جسدهِ ليقدم لهُ الغذاء ويحافظ على راحتهِ بعد كل تعب ليمكنهُ من استجمام القوى واسترجاع بدل الذي فقدهُ في العمل وان يغتنم كلَّ فرصةٍ تسنح لينال منها سرورًا ويكون لهُ فيها حظٌّ وان يحافظ على صحتهِ وآدابهِ وشرفهِ ومالهِ لان هذه جميعها اعوان لهُ عند الحاجة لا يقوم مقامها الذين تُبذَل في مساعدتهم . والخلاصة عليهِ ان يؤثر نفسهُ كلما كان لهُ الخيار في الايثار وان هو لم يفعل بل بالغ في الازدراء بها ووقفها على نفع الناس يكون من عملهِ هذا ضرران جسيمان : اولهما ضعف في الفرد وسقوط في النسل . ونعني بهِ انهُ لا بدَّ لمن ينهج هذا السبيل من ان تمنى بانحطاطٍ في قواهُ ونقصٍ في اعضائهِ لانهُ باهمالهِ امر نفسهِ تمتنع بعض اعضاء جسمهِ عن العمل والقيام بوظائفها وتموت بعض امياله التي لو كفيت كانت تعود عليهِ بلذّةٍ وابتهاج ولنضرب مثلاً يستأنس بهِ في استيعاب ما نريد: كلُّ امرئٍ يتوق وتهفو نفسهُ لان يسمع الحانًا مطربةً تعزف على الآلات او تنشد بافواهِ المغنين والمغنيات فاذا احتجب شابٌّ عن التمتع بهذه اللذّة وابتعد عن مناشئها مشتغلاً بالامتيار لوالديهِ او لاخوتهِ او في خدمة الانسانية فهذا الميل الذي كان يسطع في نفسهِ يتناقص تدرُّجًا حتى يضعف في دماغهِ المركز المختص بهذه الامنية ويصبح يتجافى عن كل مواقع الطرب ويخلد الى الوحدة والافتكار . فيكون بذلك قد فقد من قواهُ خلقًا خطيرًا لهُ يدٌ في جعل حياتهِ نعيمًا ومنحهِ عمرًا طويلاً في لذةٍ وصفاء

وهذه الخسارة لا تقتصر على الفرد بل ان هذا النقص ينتقل الى نسلهِ جريًا على ناموس الوراثة الطبيعية في مذهب سبنسر ومن سبقهُ من ان الاخلاق المكتسبة تنتقل الى النسل كما تنتقل الاخلاق الفطرية فهو اذا ولد لهُ اولاد يأتون غالبًا وفيهم هذا النقص الذي كان في

والدهم وهم ايضاً يبثونهُ مكبرًا في بنيهم اذا جروا على آثار ابيهم وهكذا الى ان يصبح المركز المختص بالميل الآنف الذكر اثريًا لا عمل لهُ . وهكذا يكون سير تلك الاسرة المحسنة نشوءًا تقهقريًّا مخالفًا للجهة التي يجهد الانسان ليبلغ فيها الكمال . وهم اعني اعضاء تلك العائلة يخالفون من حولهم بفقد جميع القوى التي اهملوا استعمالها اشتغالاً بما لا يجدي اجسامهم نفعًا . وانت تعرف جيدًا ان وجود هذا النقص فيهم يقضي عليهم بتحمل مشقاتٍ عديدة وتجشم مصاعب بالغة في المنافسة العمرانية حتى يفضي بهم اخيرًا الى التناقص ثم الى الفناء امام من يزيدونهم قوة ويفضلونهم تركيباً لمناسبة احوال المجتمع وبهذا تكون الغيرية عاملة على اهلاك القوامين عليها والمبالغة فيها تؤدي الى نقصها بنقص اصحابها . وهذه حقيقة طبيعية سلم بصحتها اكثر المحققين

ولو جئت اضرب الامثال في تعداد القوى التي يفقدها من يضحي نفسهُ على مذبح خدمة الغير لطال بي الموقف في ما انا غنيٌّ عنهُ بما قدمت فالجزء يدلُّ على الكل اذا كانت الغاية واحدة

ويجدر بي هنا ان اشير الى ان اكثر المشتغلين بخدمة غيرهم المتجافين عما فيهِ الخير لاجسادهم يقطعون اعمارهم متبتلين ومتبتلات وان نهدوا الى العيشة العائلية لا يكون ذلك الاَّ بعد مرور السن المناسبة للزواج واذا ولد لهم اولاد يجيئون مشوَّهين بما اشرنا اليهِ من النقص والضعف فتكون اخراهم اتعس من اولاهم

الضرر الثاني الذي يعتور الهيئة الاجتماعية من اهمال الفرد امر نفسهِ هو صيرورتهُ حملاً على اصحابهِ وذلك لان من يتواكل عن خدمة جسدهِ بان يُبلغهُ كل ما يستطيع ليس من الحاجيات فقط بل من الكماليات ايضاً يضعف فيهِ كثيرٌ من القوى والاميال التي لم تنشأ في اسلافهِ وتنتهِ اليهِ الا لانها معوان على تحصيل الخير ولها ضلع في انبساط الحياة وانشراح الصدر وطول العمر وتؤهل من هي في حيزهم الى الثبات في مجال التنازع والموافقة لحالات المجتمع . وهذه الخسارة قد مثلنا عليها عند كلامنا على الضرر الاول وبها يصبح الفرد هيكل الكآبة ومستقرَّ السكينة

ان الكريَّات الحيوية اذا وُضعت في حالة ترتاح اليها وقدمت لها مطالبها في اوقاتها تطول حياتها ويبقى صاحبها سعيدًا متهللاً واذا مُنعت عنها حاجاتها وكُلفت القيام على ما تكره او تقوضيت بذل قدرٍ من نشاطها لا يعود اليها بدلهُ تبرَّمت بذلك وتململت وان فعلتهُ لا تفعلهُ الا متكارهةً متحاملةً ولا يكون صاحبها الا كاسفاً كئيباً وهو اذا كان كذلك أخلق بهِ ان يصبح وجودهُ بين اصحابهِ مكروهاً وان لا تلقاهُ في مجلسٍ الاَّ ممقوتاً وكلٌّ يطوي عنهُ

كشحًا ويختار مفارقتهُ بالتي هي احسن واليك بعض الامثلة على ذلك

عندنا رجل ذو امرأةٍ واولاد يبكر الى عملهِ تبكير الغراب و يصرف يومهُ بشغل شاق يكاد ينوء بهِ وجبينهُ في ايام القرّ يتفصّد عرقًا فقلبهُ خفوق وراسهُ مصدوع وعيناهُ غائرتان وركبتاه مرتجفتان وقوتهُ مستنزفة وجسمهُ منهك وبطنهُ خميص وافكارهُ مظلمة وليلهُ طويل ونهارهُ اطول فاذا اجتمع بافراد عائلتهِ لا تلوح على وجههِ الاَّ سمات الكآبة ولا تقرأُ في محياهُ الاَّ اسطر الحزن واذا جاء اولادهُ يتعلقون باهدابهِ لا يسمعون منهُ الاَّ الجمل المبتورة ولا يستشرفون بهِ الاَّ الوجه العبوس الآسف فتكون حياة العائلة كلها محفوفة بالتعاسة ملتفًّا بها الشقاء لان راسها مأخوذ بالمالنخوليا وغريق بارتباك الافكار. ولا اراني مضطرًّا الى ان ابين الاثر الذي ترسمهُ هذه الحال في تلك العائلة وكيف يكون امر الاولاد بعد ان يقضي ابوهم عمرهُ القصير. ان هذا الرجل حرم نفسهُ لذاذات الحياة والزمها النصب والعناء ليسوق السعادة لاولادهِ ويكسوهم الرياش القشيبة و يطعمهم المآكل الطيبة وقد ذهب عنهُ ان لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام

هناك شابٌّ مات ابوهُ وترك لهُ عائلة كبيرة ليقدم لها رزقها فجعل امر راحة العائلة نصب عينيهِ وجلّ مراميهِ فيشتغل طول النهار منحنيًا على مكتبتهِ يذيب حبات دماغهِ وينهك اعضاء جسدهِ ويمنع نفسهُ لذة الحياة وعينيهِ طيب الهجوع جاعلاً طعامهُ بلغةً ونومهُ غرارًا حرصًا على ترقية بني ابيهِ وضنًّا بهم ان تنزل درجة معيشتهم عمّا كانت ايام كان والدهُ يجترح لهم. واحرِ بمن كان كذلك ان يبقى ملبَّك الافكار كثير الاحزان شجيّ الوجه كاسف البال فهو اذا اجتمع باصحابهِ لا يكون منهُ الاَّ استماع حديثهم ومحاولة اظهار بهجتهِ المصنَّعة بمشاهدتهم وكلُّ ذلك عودٌ على القاعدة التي اسلفنا ذكرها ان الجهاز العصبي اذا كُلف نشاطًا لا يعود اليهِ تتمكن منهُ الكآبة ويستحوذ عليهِ الضجر ويكون ذلك باعثًا الى تقصير حبل الحياة وجعل الباقي منها غصصًا واشجانًا

اما من احسن القيام على امر نفسهِ وجهد ليجعل ايامهُ مسراتٍ وافراحًا فيكون منهُ منافع جمَّة للعمران منها تمرين قواهُ التي نمت في اسلافهِ وانتهت اليهِ بسبب مناسبتها لاحوال المجتمع. وهذه القوى تزداد بالتمرين وتقوى بالاستخدام المعتدل فيقرب الجهاز العصبي من الكمال ويستقيم امر تكيفهِ لمقتضيات المحيط و يزداد صاحبهُ ثباتًا في تنازع البقاء ويبث القوة الى نسلهِ فيكون منهُ عمال اقوياء يدفعون الهيئة الاجتماعية التي حولهم عدة خطواتٍ الى الامام. هذه المنفعة تصدر عنهُ بالدرجة الثانية ومنفعتهُ بالدرجة الاولى اوجهُ منها: ان هذا الفرد القائم على

الاهتمام بامر نفسهِ لا يمهل ان يصير قادرًا على نفع من حولهُ ماديًّا وادبيًّا . ينفعهم باتساع ثروتهِ وانبساط يدهِ بالسعة وتلك اذا اتسعت لا بد ان تطفَّ على من حولهُ ممن لهم معهُ ارتباط في احوال المعيشة واذا امتلأَ حوضهُ يصير حقيقًا بان يرشح نعمًا على جميع المرابطين لابوابهِ . ينفعهم بآرائهِ السديدة ومثالهِ الصالح وبها ينير امامهم سبل الحياة ويدلهم على ابواب الرزق ودروب العيش الرغد . ينفعهم بتنشيط اليائس منهم واضرام لهيب الغيرة في نفوسهم لتسمو بهم الى ما فيهِ حسن حالهم وصلاح مآلهم

ينفعهم بوجههِ البشوش ومحياهُ الطلق وثغرهِ البسَّام لان من كان في عيشهِ انبساط وفي رزقهِ سعة وفي جهازهِ ارتياح ونشأَة سرور يكون مجلسهُ مجلس صفاء ومقامهُ مقام نشاطٍ وهناء يسلي اصحابهُ بالنكات الظريفة ويبهج اولادهُ بالاحاديث اللطيفة فهو انَّى سار سار معهُ السرور وايَّان حلَّ حلَّ امامهُ الحبور وكلٌّ يعرف ما للوجه الباش من قوة الجذب للقلوب واي تأْثير لمن كان لحديثهِ طلاوة على نفوس مجالسيهِ كيف انهُ بحضورهِ معهم يحول اكدارهم افراحًا وضيق صدورهم انشراحًا فتنفتح للقائهِ القلوب وتتهلل لالفاظهِ النفوس . ومن كانت افكارهُ كثيفة يحاول عند اجتماعهِ بالناس ان يظهر الهشاشة والبشاشة ولكن شتان بين الكَحَل والتكحُّل

بين الاوربيين قوم يعرفون بالاشتراكيين (Socialists) يذهبون الى انهُ لا يحق للمرء ان يذخر قوة اذا كان غيرهُ محتاجًا اليها ولا يجوز لهُ ان يتمتع بلذة من لذات الحياة زيادة عمَّا تقتضيهِ منزلتهُ بين الناس وهم يرغبون في ان يجعلوا البشر عائلة واحدة وثروة الارض مشتركة بينهم وكلهم متساوون في الحقوق والانصبة ويريدون ان يأْخذوا الفضلات من ايدي المتمولين ويقسموها بين المحتاجين حتى يصبح الكل في درجة واحدة من السعادة والاثراء . وقد اشار المقتطف الى فساد مذهبهم واقام الدليل الحسي والعلمي على تعذُّر ما يطلبون . وقد انشأَ علماء الاقتصاد في اوربا المقالات الضافية وأَلفوا الكتب المسهبة في مرادَّات بهذه الشؤُون وذلك معروف عند كل من لهُ المامٌ باخبار القوم . وقد ظهر مما تقدم ان الفرد الذي سبق غيرهُ في مجال المنازعة العمرانية لم يحرز ذلك السبق الاَّ بمزية كانت لهُ على اصحابهِ بقوة في عقلهِ او جسمهِ او في دهائهِ او في عصبيتهِ او في غير هذه وكل هذه المزايا خاصة بهِ ويحق لهُ الانتفاع بها دون غيرهِ . ولولا الجريُ على هذه القاعدة لما وصل النوع الانساني الى هذه الدرجة من القوة فالضعيف يهلك امام القوي والعاجز يعطي مكانًا للقادر ولا يبقى من النوع الاَّ الانسب لاحوال المحيط والاقوم لسعادة المجتمع فبها يستمر النوع صاعدًا في معارج القوة مقتربًا من مستقرّ الكمال والضعفاء فيهِ يتناقص عددهم ويتقلص ظلهم الى ان يصير حملهم الثقيل ريشةً لا يعبأ بها

اما تقليل عدد الضعفاء فلا يكون بقتلهم او بحرقهم او بتركهم يموتون جوعاً او برداً بل بالاحسان اليهم وانهاضهم من الوهدة التي سقطوا فيها ليكون منهم اعضادٌ للهيئة الاجتماعية واعوان على ترقية الانسانية وحيث ان الكلام في هذا المعنى طويل عريض ارجو ان اعود الى اتمامهِ في العدد القادم وكل آتٍ قريب

* * *

اقدم المناجم والخرائط

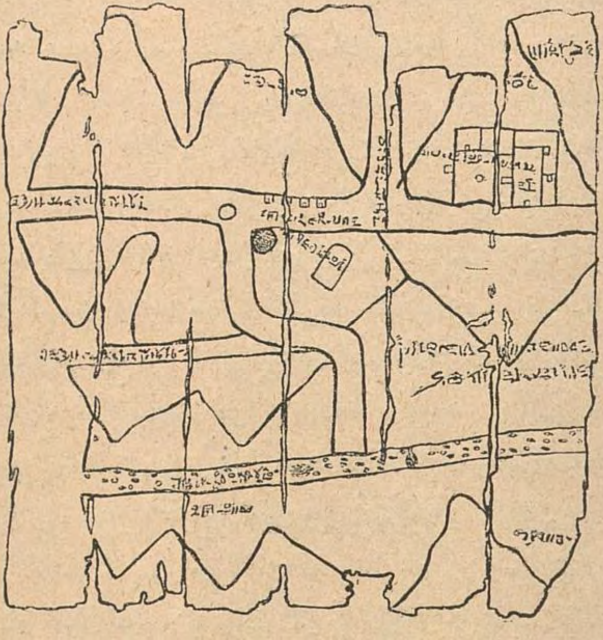

ذكرنا في الجزء الاخير من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف ان شركة انكليزية اهتمت بالبحث عن المناجم التي كان المصريون الاقدمون يستخرجون الذهب منها ومضى وفد الى الاماكن التي كانت فيها بين لقصر والقصير فاكتشف سبعة عشر منها ووجد الذهب في بعضها كثيراً يبلغ ستة عشر درهماً في الطن

وقد اطَّلعنا الآن على اقدم خريطة من الخرائط المصرية التي بقيت الى الآن وهي اقدم خريطة وصلت الى ابناء هذا العصر مما صنعهُ الاقدمون وقد رسمت لتدل على مناجم الذهب في تلك البلاد فرأينا ان نتحف القراء برسمها ووصفها فنقول

تسلَّط على مصر منذ ثلاثة آلاف وثلثمئة سنة ملك اسمهُ ستي الاول وهو الذي بني الرواق الاكبر في قصر الكرنك وكان فاتحاً عظيماً وقائداً كبيراً عبأ الجيوش ودوَّخ الاقطار ولم يكتفِ بالبناء والفتح بل وجَّه همتهُ الى استخراج الذهب من معادنهِ . وقد وصلت الينا خريطة من البردي طولها نحو ٣٨ سنتمتراً في مثلها عرضاً مشرَّمة الحواشي مشققة الصدر لكثرة الاستعمال ولما توالى عليها من القرون . وهذه الصورة منقولة اصلاً عن صورتها التي رسمها لبسيوس الشهير وهي الآن في دار التحف البريطانية وفيها رسم واديين متوازيين ارتفعت الآكام على جانبي كلٍّ منهما ووصل بينهما شعْب منحنٍ . وأحد الواديين قاحل ملأَتهُ الحجارة والانجم الشائكة كما يظهر من صورتهِ وهو الاسفل في الرسم والآخر كتب عليهِ انهُ يؤَدي الى البحر وفيهِ اسم اربعة بيوت من بيوت المعدّنين عند سفح اكمة وهناك كلمة " معدن الذهب " . وعند اتصال هذا الوادي بالشعب الممتد الى الوادي الآخر ارض زراعية فيها بئر او صهريج بجانبهِ كتابة يقال فيها " بئر الملك ستي الاول " وصفيحة مثل الصفائح التي تنصب فوق المدافن ويحتمل انهُ كتب فيها تاريخ حفرهِ لتلك البئر والمعدن . والى اليمين من هذه الارض والبئر اكمة قليلة الارتفاع عليها كتابة مصرية يقال فيها " هنا الجبال التي يصوَّل فيها الذهب ولونها احمر مثل لون هذه الكتابة " . والآكام بين الواديين ملونة في الخريطة باللون الاحمر . وعلى الجانب المقابل من هذا الوادي اكمة اخرى ارفع من الاولى في سفحها رسم هيكل كبير للاله امون وعلى الاكمة كتابة مصرية يقال فيها " الجبل الطاهر "

والخريطة على بساطة رسمها تدلُّ دلالةً واضحة ناطقة على ما وُضعت لهُ وهي دليل قاطع على اهتمام المصريين القدماء باستخراج المعادن وعلى انهم اهتدوا الى رسم الخرائط واتخاذها دليلاً للاهتداء بها وهذا امر لا يفعلهُ ابناءُ هذا القطر حتى الآن من تلقاءِ انفسهم . ولا غرابة في ذلك لان عمران المصريين في تلك الايام كان ارقى من عمرانهم في هذا العصر اذا استثنينا ما استفدناهُ حديثاً من اوربا . وكان ارقى كثيراً من عمران العرب الذين فتحوا هذا القطر وتغلبوا عليهِ . ولا ندري كم كان ربح الدول المصرية القديمة من استخراج الذهب حينئذٍ ولكن لا شبهة في انها كانت تجود بنفوس الاسرى ولا تقدِر لعملهم قيمة بل كانت تكتفي باطعامهم ما يقوتهم لكي يبقوا قادرين على العمل

اما الآن فلا مطمع باستخراج الذهب الاَّ اذا كان منهُ ربح يزيد على نفقات استخراجهِ ويبقى منهُ ربًا لراس المال يبلغ عشرة او اكثر في المئة والاَّ فمعدن الرمل الذي يقوم بنفقات استخراجهِ ويبقى منهُ ربح عشرة في المئة اربح من معدن الذهب

معاهدة جنيفا وجرحى الحروب

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

من اجلّ قوانين الحرب الحديثة معاهدة جنيفا التي وُضعت سنة ١٨٦٤ لحماية رجال المستشفيات وجرحى الحروب . وقد وقَّعت عليها اكثر دول اوروبا مثل حكومة سويسرا وبلجكا والدنمارك واسبانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا والبورتغال وبروسيا وبعض ممالك المانيا . ثم وافق على مادوِّن فيها اكثر الممالك والولايات المتمدنة تخفيفاً لويلات الحروب واوجاعها وجلُّ ما ورد فيها مختص بجعل رجال المستشفيات في حيادٍ تام عن رحى الحرب عند المتحاربين وهذا مفاده

(١) ان المستشفيات العسكرية والمستشفيات النقالة تعتبر على الحياد ولذا يجب على الفريقين المتحاربين حمايتها واكرامها ما دام فيها مريض او جريح وتخرج عن الحياد متى احتلتها قوة عسكرية

(٢) ان خدَمة المستشفيات الثابتة والنقالة ومن فيها من رجال المراقبة وادارة النقل والاطباء ورجال الدين يتمتعون بمزايا الحيادة ما داموا في وظائفهم وما دام عندهم مصاب ليُنقَل او يسعف

(٣) ان الذين ذكروا في المادة الثانية يمكنهم الاستمرار على تأدية اعمالهم في المستشفيات المختصة بهم بعد احتلال جيش العدو ويحق لهم الانسحاب اذا شاءوا والالتحاق بالجيش الذين هم منهُ وحينئذٍ يرسلهم الجيش المحتل بعد انقطاعهم عن اعمالهم الى مواقع العدو الخارجة

(٤) لما كانت معدَّات المستشفيات العسكرية منوطةً بقوانين الحرب فالرجال التابعون لهذه المستشفيات لا يجوز لهم عند انسحابهم ان يأخذوا معهم شيئاً منها الاَّ ما كان خاصاً بهم على ان المستشفى النقال تحفظ لهُ جميع ادواتهِ ومهماتهِ في تلك الاحوال

(٥) هذه المادة لحماية السكان الذين يشتغلون بنقل جرحى المتحاربين او مساعدتهم

(٦) يحافظ على جرحى العساكر ومرضاهم ويعتنى بهم بدون نظر الى الجنسية ويكون لقواد الجيوش السلطة في تسليم العدو جنودهُ الذين جرحوا في المواقع حينما تسمح الاحوال بذلك بعد اتفاق الفريقين

(٧) يجب ان يكون على العلم والعلامة الموضوعة على الذراع علامة الصليب الاحمر على دائرة بيضاء وتستعمل في المستشفيات الثابتة والنقالة

ثم أُضيف الى المعاهدة المشار اليها ملحق في سنة ١٨٦٨ امضتهُ بريطانيا العظمى والنمسا

وبلجكا والدنمارك وفرنسا وايطاليا وهولندا وشمالي المانيا واسوج ونروج وسويسرا وتركيا وبعض ممالك المانيا وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر اكتوبر من تلك السنة ومما جاء فيهِ

المادة الاولى : — ان الذين ذكروا في المادة الثانية من المعاهدة يمكنهم بعد احتلال العدو الاستمرار على تأدية اعمالهم ما دام المرضى والجرحى في حاجةٍ اليهم في المستشفيات النقالة والثابتة واذا شاؤُا الانسحاب فيعين لهم قائد الجنود المحتلة موعد السفر ويجوز لهُ تأجيل الموعد قليلاً لاسباب حربية مهمة

المادة الثانية — تؤخذ الاحتياطات اللازمة بين المتحاربين لضمانة رواتب الذين يقعون بين ايدي الاعداء من رجال المستشفيات وابقائهم متمتعين بها

المادة الثالثة — يلحق بالمادة الاولى والرابعة من معاهدة سنة ١٨٦٨ ان اسم المستشفى النقال يطلق على المستشفيات التي تقام في ساحات الحروب وجميع البنايات الوقتية التي تنقل مع الجيوش لقبول المرضى والجرحى

المادة السابعة - اذا اسر وابور فرجال الدين والمستشفيات والاطباء فيهِ يعتبرون على الحياد وعند تركهم الوابور يجوز لهم نقل جميع الامتعة والآلات الجراحية التي تكون ملكاً خاصاً لهم

المادة الثالثة عشرة — ان الوابورات التي تحول الى مستشفيات ويقوم بتقديم مهماتها جمعيات تعترف بها الحكومات الموقعة على هذه المعاهدة او تجهز بتصريح ملك واقرار من ناظر البحرية بانها كانت تحت سلطتهِ مدة تجهيزها وقيامها وبان تحضيرها كان فقط لاتمام الارسالية تعتبر علي الحياد مع كل من فيها من المستخدمين ويجب على المتحاربين الاعتراف بها وحمايتها ويجب ايضاً على الوابور ان يعرف قصدهُ للجميع برفع العلم الابيض المرسوم عليهِ الصليب الاحمر في جانب علم دولتهِ . وكذلك يجب ان يوضع حول اذرع رجالها علامات من اللون عينهِ اثناء تأدية اعمالهم وان يكون لون الوابور من الخارج ابيض ومقلماً باحمر . ويجب على هذه الوابورات مساعدة من تلزم مساعدتهُ من الجرحى او الذين تجنح بهم البوارج المتحاربة مع قطع النظر عن جنسيتهم . وتأدية واجباتها قبل المعارك وبعدها تكون على مسئوليتها . ويجب ان لا تكون بحركاتها عثرة في سبيل المتحاربين ويكون للمتحاربين حق المناظرة عليها وزيارتها ويحق لهم ايضاً رفض مساعدتها وابعادها او ابقاؤُها اذا مست الحاجة ولا يجوز لاي فريق من المتحاربين استرداد الجرحى والذين كسرت بهم السفن ويجب عليهم ان لا يرجعوا الى الخدمة مدة استمرار الحرب

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

القسم الرابع

الفصل الاول

لما دخل فخر الدين قصرهُ ومشى بين رجالهِ استعزَّ بما لقيهُ من التبجيل وجعل يعامل قومهُ بالدعة والاكرام لكي تبقى القلوب معقودة على حبهِ فاتسعت ولائمهُ وكثر ضيوفهُ من الامراء والمشايخ وسُرَّ تنكرد بما رأى وسمع وفعل بهِ هواء لبنان فعل الدواء فشفى جرحهُ وطيب نفسهُ. وكثر تحدُّث الناس عنهُ وتسابقهم الى اكرامهِ وكانوا يذاكرونهُ في امر الثورة ونتائجها وما يُفرَض منها على كل واحد منهم

واراد فخر الدين ان يجمع كلَّ امراء الجبل ومشايخهِ من الدروز والموارنة في قصرهِ لكي يصلح بينهم ويريهم منزلتهُ عند الدولة الانكليزية مدَّعياً انها علمت شأن العمل الذي هو عازم عليهِ فلم تأتمن قنصلاً عادياً تبعث بهِ اليهِ بل بعثت اليهِ باحد امرائها ممثلاً لعظمة تلك المملكة وغناها

وذاع هذا الخبر في الجبل على غير علم من تنكرد وصدَّقهُ بيت الخازن وبيت الدحداح وبيت حبيش وبيت حيدر من الموارنة وبيت جنبلاط وبيت تلحوق وبيت ابي نكد من الدروز وقالوا كلهم ان اخا الملكة نزل ضيفاً على الامير فخر الدين . وكان الخلاف شديداً بين الامير احمد ارسلان والمعلم بطرس كرامة فاصطلحا لان فخر الدين بعث اليهما كليهما جانباً كبيراً من البنادق التي اتى بها

وكان فخر الدين يبالغ في اكرام تنكرد فتزيد ثقة الناس بكلامهِ مع انهم لم يروا في تنكرد شيئاً يدلُّ على ما كان فخر الدين يذيعهُ عنهُ . وكان تنكرد يميل الى العزلة طبعاً لكن فخر الدين اقنعهُ بان ذلك يغيظ الامراء والمشايخ فلا يليق بهِ الاَّ ان يقابلهم كلهم حسب عادات البلاد

وركب معهُ ذات يوم وخرجا للنزهة بموكب حافل ثم عادا الى القصر وكان غاصًّا بالزوار وقبل ان يترجل تنكرد عن جوادهِ ترجل فخر الدين وبادر اليهِ وامسك بركابهِ لكي يساعدهُ على النزول وهو يقول لهُ بالفرنسوية ان ذلك واجب عليَّ ويجب ان لا تمانع فيهِ لئلاَّ يغتاظ ضيوفي كلهم منك فزادت منزلة تنكرد في عيونهم اضعاف الاضعاف حينما رأوا اميرهم يمسك بركابهِ

كانت سورية من غزة الى الفرات مقسومة مقاطعات لكل مقاطعة امير او شيخ يحكمها فلما دخلها ابرهيم باشا حاول تنصيب والٍ واحد عليها فكانت النتيجة ان قام اهل لبنان عليهِ واضطروهُ الى ترك بلادهم سنة ١٨٤٠ .وفي لبنان خمس عشرة مقاطعة وعلى كل واحدة منها امير او شيخ كما تقدَّم لهُ الحكم المطلق في مصالح رعيتهِ وقد يكون من عائلة قديمة شهيرة تفوق عيال الامراء الاوربيين قدماً وشهرة . وهذا النظام قديم جدًّا في جبال سورية وقد بذلت الدولة العثمانية جهدها في ابطالهِ وارسال الحكام من قبلها فلم يستتبّ لها ذلك الاَّ في السواحل

والشهابيون اشهر امراء لبنان وقد استتبَّ لهم الحكم على الجبل كلهِ وخضع لهم امراؤُهُ ومشايخهُ . واشهر الشهابيين الامير بشير الذي حكم الجبل مدة غزوة ابرهيم باشا لهُ فلما تغلبت الدولة عليهِ سنة ١٨٤٠ عزلت الامير بشيرًا ونفتهُ هو واولادهُ

واراد الباب العالي ان يتولى ادارة الجبل ويضع فيهِ الحامية العثمانية فلم توافقهُ الدول الاوربية على ذلك.ودعي الامير قاسم شهاب لولاية الجبل وكان لبطريرك الموارنة سلطان عليهِ فاخذ في عزل مشايخ الدروز (المقاطعجية) فدعى ذلك الى الحرب الاهلية التي نشبت سنة ١٨٤١ فكانت حجَّة لفرنسا على انكلترا ان الباب العالي لا يستطيع ان يحكم جبل لبنان مع ان اللوم فيها لم يكن على الباب العالي اكثر مما كان على المسيو غيزو وزير فرنسا او اللورد بامرستون وزير انكلترا . لكن الانكليز كانوا يجهلون امور الجبل فظنوا ان الحق في جانب فرنسا وندموا على مساعدتهم للباب العالي

واراد الباب العالي ان يغتنم فرصة اختلاف هاتين الدولتين ويمكن قدمهُ في الجبل فلم تقبل الدول الاوربية بذلك وعُزِل الامير قاسم ولم يشإِ الباب العالي ان يولي اميرًا آخر من الشهابيين ولا ارادت الدول الاوربية ان يكون الوالي من الاتراك . وتمَّ الاتفاق اخيرًا على ان يكون للجبل قائمقامان الواحد مسيحي يتولى امر الموارنة والثاني درزي يتولى امر الدروز . لكن سكان بعض المقاطعات ممتزجون من النصارى والدروز فوقع الخلاف في ضمهم الى هذا القائمقام او ذاك وحسبت انكلترا ان قسمة الجبل الى قسمين امرٌ سهل وهي تجهل ما لمناصبهِ من السلطة على اهاليهِ

ولما رأى الشهابيون هذا الاختلاف انحازوا كلهم الى الموارنة لانهم الفريق الاكبر في الجبل وبقي البعض منهم على دين الاسلام ولكنهم لم يكونوا محازبين للدروز واهتم اكليروس الموارنة بذلك وهو شديد السطوة في جبل لبنان

وكان الدروز من حزب الشهابيين قبل سنة ١٨٤١ وتألف مجلس من الشهابيين كان

يجتمع في دير القمر للنظر في مصالح الجبل وانضمَّ اليهِ بعض الدروز . ثم نشأَ حزب سورية الفتاة سنة ١٨٤٤ وانتشر اعضاؤُهُ في مدن لبنان وقراهُ فاوجس الانكليز خيفة من ذلك ورضوا بقسمة الجبل الى قائمقاميتين ولما رأَى الدروز انهم نالوا ما تمنوا تنحوا عن النصارى وانف الشهابيون من تسلط الدروز عليهم في المقاطعات التي قائمقامها درزي

وتبرع بطريرك الموارنة بمئتي الف غرش لابتياع البنادق وكذلك رئيس دير مشموشة قائلين ان انفاق المال في ابتياع الاسلحة خير من تركها لينهبها الدروز . وتبرَّع المطران طوبيا بمبلغ كبير ولكنهُ عاد فاسترجعهُ واتى المطران يوسف الجزيني الى صيدا باموال كثيرة وقال للناس سرًّا ان لا بد من اعطاء حكم الجبل لامير من بيت شهاب لكنهُ ادعى جهارًا انهُ اتى لتفريق الصدقات

ونشبت الحرب الاهلية في شهر مايو من شهور سنة ١٨٤٥ فهاجم النصارى الدروز في اماكن مختلفة ولم ينالوا منهم مأربًا ثم عاد الدروز على النصارى ونكَّلوا بهم وصعدت الجنود العثمانية الى الجبل بطلب الدول الاوربية لكن امراء دير القمر والامير قيس شهاب ابلوا في الدروز بلاءً حسنًا . وكان فخر الدين حينئذٍ في قصرهِ فاسرع برجالهِ لنجدة الامير قيس فوجد رجالهُ مكسورين وقد دارت الدائرة عليهم والجنود العثمانية توسطت بين الفريقين فادَّعى انهُ جاء للتوسط ايضًا ونجح في استمالة قناصل الدول وجعل الباب العالي يعوض النصارى ممَّا سلبهُ منهم الدروز وامضيت شروط الصلح بينهم وهي الشروط التي اشار اليها وهو يكلم حواء في القدس على ما تقدم

الفصل الثاني

الشيخ سعيد جنبلاط البطل المغوار اكبر مناصب الدروز راكب صهوة جوادهِ سائر الى قصر قنوبين ووراءهُ اربعة مشايخ من ابناء اعمامهِ اتوا معهُ من دارهِ في المختارة وهو شاب طويل القامة مجدول العضل على كتفيهِ برنص طويل وعلى رأسهِ عمامة بيضاء وهو بالعدَّة الكاملة

واتى بعدهُ الفارسان الشهيران الشيخ ناصيف ابو نكد واخوهُ الشيخ محمود ابو نكد ومعهما عشرون رجلًا من اتباعهما مسلحين بالبنادق . وكان النكدية مشايخ دير القمر فلما اراد البطريرك ان يسلب الدروز التسلط على بلادهم هجموا على دير القمر بلدهم ونهبوها نكاية فيهِ ولما عقد الصلح وتعهد الدروز برد الاسلاب التي عندهم قال الشيخ ناصيف ان عندهُ خمس مئة طرطور اخذها من رأس خمس مئة امرأة

لكن هذه الامور نسيت الآن واجتمع الناس على الوئام والَّف فخر الدين بين القلوب

او كاد . وكان بين الوفود الى قنوبين المطران نيقوديموس كاتم اسرار البطريرك وهو ممن لهم اليد الطولى في الحرب الماضية وكان معهُ شماس واحد لكن الجميع كانوا يجلون مقامهُ فلما وصل الى القصر بادروا الى تقبيل يديهِ اما اكراماً لهُ او خوفاً منهُ لانهُ كان داهية كثير المشاكل والمشاغل يحرم هذا ويقطع ذاك ويفرض الفروض على من لا يطيع لهُ امراً . وكان يميل الى بيت شهاب ويحب فخر الدين ويسعى في مصلحتهِ وهو الذي سعى في ارسال الاسقف مراد الى اوربا فكاد يلقي الفتنة بين وزير فرنسا ووزير انكلترا كما تقدَّم حتى اضطرَّ فخر الدين ان ينكر انهُ مرسل من قبلهِ

وتوالى وفود الفرسان على صهوات الجياد وبينهم الامير قيس والامير عبد الله شهاب والشيخ فرنسيس الخازن وغيرهم من زعماء سورية الفتاة . وجاء بعدهم بنو يزبك الذين بقوا خمس مئة سنة لا يسمحون بتقدُّم آل جنبلاط عليهم . والشيخ فاعور كنج الذي قاطع الموارنة بعد الحرب الاخيرة اما الآن فطارحهم السلام وتصالح مع بيت حبيش وبيت الدحداح ومع المعلم بطرس كرامة . ووفد ايضاً مشايخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك وبيت الظاهر فامتلأ ميدان القصر بالصافنات الجياد وطبق الجو صهيل الخيل وجلس الامراء والمشايخ على البسط والارائك يدخنون التبغ ويشربون القهوة ومشى فخر الدين بينهم وعلى رأسهِ عمامة قوراء وعلى كتفيهِ جبة واسعة الاردان وكان يرحب بالدروز والموارنة على حدٍ سوى وجلس مع الشيخ سعيد جنبلاط وحدَّثهُ طويلاً واكرم وفادة بني يزبك لكي لا يغاروا من بيت جنبلاط وقبَّل يد المطران نيقوديموس وارسل نارجيلتهُ الى الامير احمد ارسلان قائمقام الدروز

وكان تنكرد قد لبس لامة الصيد وهي من المخمل وتنكب بندقية من اجود مصنوعات بردي من نوع الششخانة فاعجب بها الحضور وطلب الشيخ فرنسيس الخازن من الامير فخر الدين ان يكلمهُ ليرمي لهم بها نسراً من النسور التي كانت تحلق في الجو امامهم . واخذ فخر الدين البندقية واراها للشيخ فرنسيس وللحال اقترب منهُ الشيخ سعيد جنبلاط والامير قيس شهاب وبعض مشائخ بيت حبيش وبيت الدحداح وجعلوا يروزونها ويعجبون بصنعها وما منهم الا من تمنى ان يكون عنده بندقية مثلها . ونادى تنكرد خادميهِ ليريا الحضور جفتهُ وفرودهُ فاتيا بها وارياهم اياها كأنها من سقط المتاع من غير ان يظهرا اقل اعجاب بها احتقاراً منهما لامراء لبنان . فاغتاظ تنكرد منهما واخذها منهما وجعل يشرح لهم مزاياها بالقليل من الكلمات العربية التي تعلمها واذا وصل الى معنى تعذَّر عليهِ التعبير عنهُ بالعربية تكلم بالفرنسوية والامير فخر الدين يترجم لهُ ثم التفت الى الجو فرأى عقاباً كبيراً محلقاً فيهِ فاطلق عليهِ بندقيتهُ واصابهُ فوقع امامهم

وهم يعجبون من مهارتهِ في الرماية

ولما كان تنكرد يظهر دقة اسلحتهِ كان بطرس كرامة يتكلم مع رفائيل فرَح الدحداح فقال لهُ ان هذا الامير اتى الى هنا ليرى ميلْ اهل الجبل الى بيت شهاب ولكنني سمعت امس في دير القمر ان قنصل الانكليز اقنع الملكة بان كل اهالي الجبل ضد بيت شهاب والبطرك في جملتهم . فاجابهُ رفائيل فرح ان هذا الكلام كذب والذي اشاعهُ الدروز لاغراض لا تخفى علينا . وسمعهما الشيخ فرنسيس الخازن يتكلمان فقال لهما خلصْنا من هذه السيرة فانهُ لم يبقَ دروز ولا موارنة بل الكل اخوة

رفائيل فرح — من قال ذلك وهل يقوم الجبل من غير الموارنة

الشيخ فرنسيس — نعم ولو كنا امة واحدة بدل ان نكون طوائف متعددة ما تغلَّب علينا ابرهيم باشا بل كنا غلبناهُ وفتحنا مصر

رفائيل فرح — ما شاء الله شيخ من بيت الخازن يتكلم ضد الموارنة يتكلم ضد طائفة لها مئتا دير في الجبل

بطرس كرامة - ولها بطرك محترم في كل الدنيا

الشيخ فرنسيس — نعم وليس عندها قطعة سلاح

بطرس كرامة — نحن سلَّمنا اسلحتنا باختيارنا

رفائيل فرح — أَقنعونا حتى سلمناها

الشيخ فرنسيس — مَن اقنعنا هؤُلاء الرهبان الذين تفتخر بهم

بطرس كرامة — غشوهم اما انا فما سلمت اسلحتي وعندي الآن اسلحة تخطف ارواح كل الدروز

الشيخ فرنسيس — مالك وهذا الكلام فهو يغيظ الامير فخر الدين

المطران نيقوديموس — ويغيظني انا ايضاً وكلنا الآن اخوة وهذه ارادة سيدنا البطرك لا نصارى ولا دروز بل الكل اخوة

ثم قرعت الطبول علامة الخروج للصيد وخرج الامراءُ والمشايخ واعتلوا صهوات جيادهم وهم نحو اربع مئة فارس واربع مئة راجل وكان معهم قائمقام النصارى الامير حيدر شهاب وقائمقام الدروز الامير احمد ارسلان . ولما نزلوا عن الاكمة التي عليها القصر وبلغوا السهل المنبسط تحتها اخذوا يتسابقون ويرشقون الرماح ثم انقسموا ثلاث فرق ودخلوا حرجة كبيرة من اشجار السنديان ممتدة من طرف السهل ومنبسطة على سفح الجبل الذي يليهِ وصاعدة فيهِ

الى اعلاهُ . ومضت ساعات عديدة وانت لا تسمع الاَّ اطلاق البنادق ونباح الكلاب . ثم اخذ الناس يخرجون من الحراج ويسيرون نحو القصر وحداناً ثم زرافات واخيراً اقبل المشاة يحملون ما اصطادهُ الفرسان وهو خمسة وعشرون غزالاً وضبعٌ وكثير من الطيور وجاء الفرسان وراءهم يتمايلون على صهوات خيولهم كأَنهم سكارى ولما توسطوا السهل جعلوا يمرحون فيهِ ويجتمعون ويفترقون وهم ينشدون الاناشيد الحماسية ويلعبون بالرماح . والخيول تتهادى تحتهم كالعرائس الى ان بلغوا الاكمة التي عليها القصر

وكان مطبخ الامير كبيراً جداً فيهِ حفر كثيرة لشي الذبائح فاقبل الصيادون على الغزلان ينظفون احشاءها ويشوونها وجلس الامراء والمشايخ على بسطهم يدخنون التبغ الى ان صلح الشواء

ثم مُدَّت الاسمطة وجلس حولها الامراء والمشايخ على هذا النمط حول السماط الاول القائمقامان وتنكرد والمطران نيقوديموس ثم الشيخ سعيد جنبلاط ورئيس بيت يزبك ثم التلاحقة وبيت عبد الملك والنكدية وخمسة من مشائخ الموارنة . وعلى السماط الثاني فخر الدين ومعهُ الشهابيون وبيت حبيش وبيت الدحداح . وجلس بقية المشايخ حول بقية الاسمطة في الدار والرواق الذي حولها . ولم تكن تسمع الاَّ صوت تقطيع اللحم وتعريق العظم ومضغ الطعام اما الحديث فلا محل لهُ هناك لان الانسان إما ان يأْكل وإما ان يتكلم ولا يحسن الاثنين في وقت واحد. ومن خالف هذا النظام بُلي بسوء الهضم ولذلك ترى اكثر الاوربيين يشغلون ادمغتهم وهم ياكلون فتتلبك معدهم حتى لا تستطيع هضم الطعام . ويقال ان جلوس النساء على موائد الطعام مع الرجال هوَ الذي يدعو الى التنافس في الحديث وما ينتج عنهُ من التخم

وكان في وسط كل سماط صدر كبير من الارز المفلفل عليهِ غزال تحيط بهِ الحجال ودجاج الارض مما صادهُ البزاة وكلها مشوية محمَّرة

ولما اكلوا وطابت نفوسهم همس بطرس كرامة في اذن جارهِ رفائيل فرح وقال ارى الآن ان الاتفاق ممكن . فقال لهُ رفائيل فرح نعم ولماذا لا يمكن ذلك الم يكن على الجبل حاكم واحد قبل الآن فاذا كانت الدول تقبل بتسليم الحكومة لواحد من بيت شهاب وكان يجمعنا مراراً هنا كما نحن مجتمعون الآن زالت من بيننا الضغائن والاحقاد

بطرس كرامة — اتريد ان اخضع لمحمود ابي نكد

رفائيل فرح — مَن قال ذلك بعد ان حرق الاديرة

بطرس كرامة — ونهب خمس مئة طرطور

فرنسيس الخازن — ولكن هَبْ انهُ يردها لاصحابها

رفائيل فرح — اذا ردها انتهى الخلاف

بطرس كرامة — لا ينتهي الخلاف ما دام هذا الرجل حيًّا

ولما فرغ الضيوف من الطعام شكروا الله ونهضوا وجلسوا على الدواوين فجاءهم الخدم بالاباريق والطسوت فغسلوا ايديهم ثم جاؤُوهم بالشبقات ودار الحديث بينهم وكان موضوعهُ الصيد والقنص وما فعلوهُ ذلك اليوم وسأَل الشيخ جنبلاط تنكرد عمَّا اذا كان في بلادهِ ضباع وقصَّ المطران نيقوديموس عليهم قصصاً كثيرة جرت في ايام الامير بشير حينما كان يخرج للصيد من بيت الدين واستطرد الكلام الى ما كان في تلك الايام من العز والجاه يوم كان على الجبل والٍ واحد

واخذ فريمن وترومن قطعة كبيرة من اللحم المشوي وجلسا تحت شجرة يأْكلان منها . وقال فريمن ان الذي يعجّبني هو ان هؤُلاء الناس يحسبون انفسهم نصارى وهم يعتمّون بالعمائم مَن سمع ان النصارى يعتمون

ترومن — ويأْكلون باصابعهم لا سكين ولا شوكة

فريمن — يقال من سافر كثيرًا رأَى العجب

ترومن — ورأَى المشاق وانا ليس اصعب عليَّ من اننا لا نأْكل في وقت معين

فريمن — ولكن هذا الاكل ليس بطالاً وهم يسمونهُ غزالاً . ولا ادري ما يقولون في بلامنت اذا قلنا لهم اننا اكلنا لحم الغزال

ترومن — نحن الآن هنا ليس في بلامنت . وهذا الامير امير بالحق وانا مسرور ان سيدنا صادقهُ فان صداقتهُ افضل من صداقة القسوس والرهبان

ولما خيم الليل قلت الضوضاء وفك كل احد عمامتهُ او منطقتهُ وفرشها ونام عليها . واوى الامراء والمشايخ الى غرف القصر او ناموا في اروقتهِ ودام الحال على هذا المنوال ثلاثة ايام متوالية . ولما لم يبقَ لفخر الدين غرفة ينام فيها طلب من تنكرد ان يقبلهُ ضيفًا عليهِ لينام في غرفهِ

الفصل الثالث

تنكرد مخاطبًا فخر الدين — كان هذا اليوم يومًا مشهودًا لا يُنسى ابد الدهر

فخر الدين — نعم وما رأيك في هؤُلاء الرجال أَيستطيعون ان يغلبوا العالم

تنكرد — غلبة العالم لا يكفي لها وجود الرجال بل لا بدَّ لهم من غرض يسعون اليهِ

فخر الدين — الغرض موجود

تنكرد — هل يعرفونهُ

فخر الدين — نعرّفهم بهِ

تنكرد — لا ادري كيف نستطيع ذلك

فخر الدين — الم يكن العرب عبدة اصنام ومع ذلك خرجوا من بلادهم يذيعون دين التوحيد فانت ترى ان كل شيءٍ مستطاع

تنكرد — نعم وانا لم ازل على رأيي الاول وهو ان الثورة يجب ان تبتدئ من بلاد العرب . فان البدو بمعزلٍ عن سفسطات الحضر وهم الآن كما كانوا في عصر محمد وموسى وابرهيم اهل ورع وتقى لا حيف عندهم ولا عتوّ

فخر الدين — ولكن انا من العرب وكل المقاطعجية من العرب وما منهم احد الاَّ وهو ينتسب الى عرب نجد او عرب الحجاز او عرب اليمن. وفي الجبل خمسون الف بندقية ورجالهُ ابطال اشدَّاء وهم اهل زهد وتقشف الدرزي منهم يعيش على الخبز والزيتون وينام على التراب

تنكرد — ولكنهم لم يفعلوا شيئًا حتى الآن اما العرب ففعلوا

فخر الدين — نعم لم نفعل شيئًا لان ليس عندنا فرسان واعداؤْنا يستعينون علينا بفرسان العرب ولكننا حافظنا على بلادنا . والآن صار العرب معنا لان الشيخ مالكاً ينجدنا بفرسانهِ ولهُ الحول والطول في كل بلاد العرب فيأتينا بالفرسان من نجد والحجاز واليمن وعمان والبحرين يأتينا بخمسين ألف فارس اذا اردنا

تنكرد — هذا كلهُ حسن ولكنهُ لا يكفي ولا بدَّ لي من رؤْية مدن الشام والعراق لارى أَيتها يلزم لها مدافع وايتها تفتح بغير المدافع ثم يجب ان لاتسى بر الاناطول اسيا الصغرى أخصب ارض الله فان الاتراك قد يهاجمون لبنان من الشمال ونحن ذاهبون الى الجنوب والشرق . وقد رأَيت قومك ورجالك وانا اقدركم قدركم ولكن من يحمي اسيا الصغرى ومن يحفظ معابر الشمال وعلى من نعتمد بين طرابلس وانطاكية وبين حلب وادنة

وفهم فخر الدين مراد تنكرد وكان مخلصاً في قولهِ راضياً ان يترك قصرهُ وبساتينهُ وما فيها من رغد العيش و يشتبك في الحروب والمعامع لكي يقيم في اسيا مملكة شعارها العدل واساسها الاخاء وكانت نفسهُ كبيرة فيهِ وهي تدفعهُ الى العمل وتمنعهُ من الصبر على عيشة الكسل وتزين لهُ ان يدهش اوربا كلها بافعالهِ ولم يكن قصرهُ ليشبع مطامعهُ وما تطمح اليهِ نفسهُ ولذلك كنت تراهُ قلقاً ضجوراً . ولم يكن يحب الفخر والمباهاة ولا كان يحسب للمخاطر حساباً

وكان قد استغرق في الديون ولكن هذه الديون كانت تشحذ ذهنهُ وتقوي عزيمتهُ ولا سيما اذا قابل مداينيهِ وحاول التغلُّب عليهم بالحيلة

ومن اعجب العجب ان ترى شابًّا مثل لورد منتكيوت نبيل المطالب ثابت العزيمة يصادق رجلاً متقلبًا مع الاهواء مثل فخر الدين . لكن فخر الدين كان زكي الفؤاد سريع الخاطر قلبهُ خاضع لمشاعرهِ فاذا ارضيت مشاعرهُ ملكتَ قلبهُ . لم يكن يعرف المبادئ الادبية المجردة ولكنهُ كان يرى الفضائل و يعرف قيمتها لانها تؤثر فيهِ تأثيرًا عميقًا ولذلك فعلت بهِ آداب تنكرد فعل المغنطيس بالحديد ووجَّهتهُ وجهة معلومة

الفصل الرابع

تنكرد يخاطب باروني – اتعرف شيئًا عن قوم يقال لهم النصيرية

باروني – كلاَّ لا اعرف عنهم شيئًا ولا احد يعرف عنهم شيئًا غير انهم رجال حرب غلبوا المصريين ولما رأى ابرهيم باشا ذلك منهم حشا مدافعهُ بالدراهم ورشقهم بها فصاروا من اعز انصارهِ

تنكرد – أمسلمون هم

باروني – كلاَّ لا مسلمون ولا نصارى ولا دروز ولا يهود ولا مجوس

تنكرد – من اي الاقوام هم . أعرب هم

باروني – كلاَّ ولم ارَ الاَّ واحدًا منهم وشكلهُ يدل على ان اصلهم يونان او ارمن

تنكرد – اين رأيتهُ

باروني – في دمشق فانهُ حدث فيها مرةً خصام وهجم المتخاصمون على واحد يريدون قتلهُ فانقذهُ الصيدوني من يدهم ووجدناهُ نصيريًّا لابسًا زي البدو وهم يتزيون بكل الازياء ولهم جواسيس في كل المدن ويتكلمون العربية ولكن لهم لغة خاصَّة بهم

تنكرد – لماذا لم تمضوا الى بلادهم

باروني – لان الطاعون كان فاشيًا حينئذٍ ولم يكونوا يسمحون لاحد ان يدخل بلادهم

تنكرد – هل رأيتَ هذا الرجل مرةً اخرى

باروني – نعم رأيتهُ في دمشق واسمهُ دركوش وهو يبيع العقاقير الطبية

والذي دعا تنكرد الى هذه المسائل هو انهُ كان جالسًا في اليوم السابق مع فخر الدين والشيخ حمود ابي نكد ودار الحديث بينهم على الثورة فقال الشيخ حمود اني حاربت مع الامير بشير وركبت مع الامير يوسف لمحاربة الجزار ولكنني اقول الصدق ان طريق بلادنا ليست من هنا بل من جهات الشمال . وهذا القول سمعتهُ من الامير بشير نفسهِ مرارًا كثيرة ومن الامير

يوسف ايضاً وقد نفلح في اقامة امير واحد علينا وننضم كلنا تحت رايتهِ ولكن الاتراك يدخلون بلادنا من الشمال وقتما يريدون فلا تقوم لنا قائمة

تنكرد — وبيد مَن تلك الطريق ايها الشيخ المحترم

الشيخ حمود — بيد هؤُلاء الابالسة النصيرية ولا يصيبنا شر الاَّ منهم

فخر الدين — ولا امل لنا باسترضائهم لانهم يكرهون الشهابيين ولو نصروا الامير بشيراً لغلب بهم الباب العالي ووالي مصر

الشيخ حمود — عندهم خمسة وعشرون الف محارب واذا انضمَّ اليهم التركمان والاكراد لم يقف احد في وجههم

فخر الدين — ومن العجب العجاب اني ذهبت الى حلب وانطاكية مراراً ولم ادخل بلاد النصيرية لان الناس كانوا يحذرونني منها وتحذيرهم لي كان يجب ان يغريني بدخولها ولكني لم ادخلها لانني اكرههم واخاف منهم لغير سبب واظن ان التي ارضعتني بثَّت في قلبي كراهتهم او انني اكرههم لانني اعلم انهم يكرهون الشهابيين وكان عمي الامير بشير يبغضهم ويشتمهم علانيةً

الشيخ حمود — ولكنهُ بذل جهدهُ هو والامير يوسف في استرضائهم

تنكرد — اتظن اذاً ايها الشيخ انهُ لا امل باستقلال سورية من غير مساعدة النصيرية

الشيخ حمود — اذا ساعدنا النصيرية وامنَّا جانب البدو لم نخف من الترك ولا من المصريين

فخر الدين — ويصير يمكننا ان نفتح الحرب عليهم

الشيخ حمود — دعهم يتركونا وشاننا وهذا يكفينا

فخر الدين — انظر هذا الغزال ما قولك لو طاردناهُ وبقينا نطاردهُ حتى نصل الى بلاد النصيرية

الشيخ حمود — بلادهم بعيدة من هنا ولا غرض لي بدخول بلاد تحكمها امرأة

تنكرد — تحكمها امرأة ! أَصحيح ذلك

الشيخ حمود — كذا يقال

فخر الدين — هذه اشاعة ولكن المحقق ان النصيرية يعبدون امرأة

الفصل الخامس

أَقدم مدينة في العالم خالية من الآثار القديمة . غلبت وغُلِبَتْ قهرت وقُهِرَتْ لكن لم يبقَ فيها اثرٌ للغلب ولا للانغلاب لا عمود ولا قنطرة . انشئت فيها الهياكل ونصبت فيها التماثيل ولكن لم يبقَ منها اثر . أَين قصورها اين سجونها اين دور القضاء ومجالس العلم خُرِّب كل شيءٍ وبني غيرهُ بانقاضهِ

يقول الناس ان مدينة لندن هي بابل الحديثة ومدينة باريس تماثل رومية القديمة ولكن ما قولهم في دمشق فانها كانت مدينة عظيمة لما كلم الله ابرهيم ومن ثم انتابها الملوك والغزاة الاراميون واليونان والرومان والعرب والتتر والترك مروا بها كالظل الزائل وهي باقية على مر الدهور مملوءة من السكان والغنى والرغد . هذه مدينة شاب الدهر ولم تشب وقدمت الايام ولم تقدم . شربت اكسير الشباب فبقيت في عنفوانهِ وهي منفردة في ذلك لا مثيل لها في المسكونة درة بين الزمرد

هذه دمشق التي سكنها ابرهيم الخليل تحدق بها الحدائق وتتخللها الانهار فترى ماءها يترقرق في جداولها وفساقيها ودورها وشوارعها فيسمع خريرهُ في كل بستان وبيت وترى جداولهُ في كل دار وسوق . ولكن المياه كانت كثيرة في طيبة ونينوى وبابل . وما بردى باغزر ماء من النيل ودجلة والفرات ولم تقِ هذه الانهار العواصم التي كانت عليها

حدثت الامور التالية بدمشق في غرفة كبيرة مستطيلة سقفها منقوش نقشاً لا مثيل لهُ الاَّ في قصور ملوك الاندلس او مماليك مصر قائم على اعمدة من الرخام الابيض تيجانها كسعوف النخل بينها وبين الجدران رواق طويل نصبت فيهِ الارائك من الحرير الاخضر المطرز بالذهب وعلى الجدران سجوف حاكها امهر صناع مونخ . والارض مرصوفة من قطع الرخام في اشكال بديعة لا يرى منها الاَّ الشيء القليل بين بساط وآخر . والبسط باهية النقوش والالوان من افخر ما صنعهُ اهل خراسان . وفي الغرفة آنية وتحف كثيرة من مصنوعات المشرق والمغرب موائد من الهند وصحاف من الصين وكؤوس من العقيق مملوءة بالازهار . وكوى الغرفة تطل على حديقة غناء باسقة الادواح مخضرة الخمائل مدبجة الازهار يترقرق الماء على حصبائها ويتدفق من فساقي صغيرة مبثوثة في جوانبها متصلة كلها بفسقية كبيرة في وسطها قام حولها اربعة تماثيل من المرمر الاسود تصب الماء من اربعة ابواق لؤلئية في حوض من الزبرجد

وكان في هذه الغرفة حينئذٍ اناس كثيرون اكثرهم زوار ورب المنزل وهو كهل طويل القامة مهيب الطلعة . هذا هو ادم بسو التاجر الشهير الذي رأيناهُ في القدس الشريف . على رأسهِ وكتفيهِ شال من الكشمير الدقيق وضعهُ التاجر الذي اتاهُ بهِ في قلب رمانة . وفي منطقتهِ خنجر قرابهُ من المينا ومقبضهُ مرصع بحجارة الماس حتى لا يبين منهُ شيءٌ غيرها . والى جانب بسو رجل قصير القامة نحيف البنية لابس ثياباً اوربية رسمية تدلُّ على انهُ قنصل لدولة من الدول الكبرى مع انهُ يحلق شعر رأسهِ ويلبس طربوشاً من غير عمة واسمهُ السنيور الياس لورلاً . وهو تاجر يهودي من تجار دمشق اقامتهُ دولة النمسا قنصل شرف لها . رجل مشهور في التجارة

والسياسة لهُ ابنتان من اجمل بنات المشرق تعلمتا في ازمير ومرسيليا فانقلب رأسهما وعادتا تحتقران عادات الشام وازياءهُ وتلبسان الثياب الاوربية من آخر زي ومن افخر زي مع ان اباهما لا يلبس الثياب الاوربية الاَّ في الحفلات الرسمية ولا احد يلبس مثلهما من كل بنات اعمامهما

هذه اول مرة زارتا فيها بيت بسو لانهما عادتا من مرسيليا في اول السنة ولم يأْتِ بسو الى دمشق الاَّ في اواسط الصيف وكانتا تعرفان صاحب البيت بشهرتهِ وانهُ فخر اليهود في المشرق ولكنهما كانتا تحتقران قومهما وتفضلان ان لا تحسبا من اليهود وكانت الكبرى منهما تجاهر بذلك امام اهلها ولا تخجل واما اختها فكانت تقول انهُ يجب على اليهود ان يمتزجوا بالناس اكثر فاكثر حتى يعرفهم الناس فلا يعودوا يكرهونهم وعليهم ايضاً ان يتمثلوا بالناس الذين يسكنون بينهم في كل شيءٍ حتى لا يبقى ما يميزهم عن غيرهم ولا يبقى الاَّ فرق الدين وهذا لا ينظر اليهِ بين الاقوام المتمدنين . ولما دخلت هاتان الابنتان بيت بسو اضطرتا ان تخفضا من عجبهما ولاسيما لما قُدّمتا الى رب المنزل ورأَتا جلالة قدرهِ ثم قُدّمتا الى حواء ورأَتا جمالاً يفوق الوصف وطلعة تسبي العقول وحلّة وحلًى تبهر العيون

ومدام لورلاَّ ام هاتين الابنتين نَصَفٌ من بنات ازمير كانت موصوفة بجمالها ولم تزل عليها لمحة من الجمال لولا كثرة ما على رأْسها من الحلى والجواهر فانها تفوق في ذلك كل سيدة سواها ولم تكتفِ بحجارة الماس بل وضعت بينها حجارة كبيرة من الزمرُّد والياقوت وسموطاً طويلة من اللؤلوءِ وكأَنَّ جسمها كلهُ في غلالة من الجواهر لكنها كانت جالسة على مقعدها كالصنم لا همَّ لها الاَّ النظر في حلى غيرها ومقابلتها بحلاها

وكان هناك شاب طويل القامة جميل المنظر لابساً لباساً شرقيًّا يمشي بين الحضور يكلم هذا ويمازح ذاك ويهز كتفيهِ كأَن الدنيا برغشة في عينيهِ . هذا هلال بسو خطيب حواء ابن بسو الحلبي . ذهب الى الاستانة واقام مدة في بيرا وزار السفراء ولكنهُ لم يعد محتقرًا لعادات بلادهِ كما عادت بنتا لورلاَّ ولم يكن يستحي بشعبهِ ولا بديانتهِ ولم يكن متعصباً لانهُ قرأَ ڤولتر . وكان يصغي الى حواء حينما تتكلم ويصادق على ما تقولهُ من ان شعب اليهود يفوق الشعوب كلها ويتأَوَّهُ حينما تحنُّ الى الايام التي يعود فيها مجد آبائهم. ثم يهمس في اذن من يراهُ بجانبهِ قائلاً لا اظن اننا كنا في وقت من الاوقات ارفهُ حالاً وانعم بالاً منَّا الآن

ودنا من ابنة لورلاَّ الكبرى ليكلمها فلم تكد تتنازل للكلام معهُ اولاً ثم لما علمت انهُ من بيت بسو ورأَتهُ قابل السفراء في الاستانة ونساء السفراء قامت اجلالاً لهُ وخاضت معهُ في الحديث. اما بقية النساء الحاضرات فلم يكنَّ يتكلمنَ الاَّ نادرًا كأَنَّ الكلام ليس من لوازم المجتمعات

العمومية وان تكلمن فعن حلاهن وحلى غيرهن. وكان هناك مراد فارحي ونسيم فارحي وموسى لورلاً وزوجتهُ وهما من نخبة اهالي دمشق ومن اكرم الناس كما يعلم كل من زار دمشق وكان موسى لورلاً وكيلاً لاخيهِ (فيس قنصل) . اما نسيم فارحي واخوهُ فلم يكونا قنصلين ولكنهما من كبار التجار وقد تزوجا باختين من بنات عمهما فمدام مراد فارحي في اوج مجدها وزهرة جمالها لكنها كانت خجولة منكسرة الطرف واما اختها مدام نسيم فكانت اشدّ منها نباهةً وذكاءً وغيرةً على شعبها واعجاباً بحواءَ . وهي طويلة القد ممشوقة القوام يتدفق الجمال من وجهها والذكاء من جبينها

وكان هناك امرأة سمينة مترهلة زوجها قنصل ولكنهُ ليس قنصلاً جنرالاً مثل لورلاً تنظر اليها فتظنها صنماً من اصنام الصين وهي بشوشة الوجه كثيرة التبسُّم برّاقة العينين

وكان في الغرفة ايضاً ثلاثة اولاد او اربعة كأنهم الملائكة في جمالهم وخفَّة ارواحهم وابنة يصل شعرها الى الارض . اما الاولاد فكانوا كثيري اللعب والحركة لا يقر لهم قرار يدنون من بسُو وهو يتكلَّم ويشدون بطرف جبتهِ غير هائبين ثم يسرعون الى امهم او حواءَ يقبلونها او يدنون من المرأة السمينة ويتفرسون في وجهها ويضحكون. هؤُلاء اولاد اخت هلال بسو أُتي بهم الى دمشق لتغيير الهواء وامهم معهم وهي جالسة بجانب حواءَ ترقب اولاها بعينين زرقاوين وتشير اليهم بيدها لكي يلزموا السكينة

وكان الرجال واقفين اكثر الوقت يتحدثون كانهم في مجمع التجار (البورصة) ثم دخل من الغرف التي الى جانب هذه الغرفة خدم يحملون سلة كبيرة من الفضة مملوءَة بسعوف النخل الصغيرة تتخللها اغصان الآس ودخل بعدهم خَدَم آخرون يحملون سلة كبيرة من الذهب فيها ثمار الليمون وجعل الخدم يطوفون على الحضور فيأخذ كلٌّ منهم سعف نخل بيمينهِ وليمونةً بيسارهِ. ثم رفع رب المنزل سعف النخل بيدهِ وحرَّكهُ وللحال بادرت حواءُ اليهِ وكانت لابسة حلَّة من الحرير الابيض مزررة بازرار من فصوص الماس الكبيرة ومتمنطقة بمنطقة مغطاة باللؤلوء وفوق المنطقة صدرة من المخمل الاحمر مزركشة بالقصب والحجارة الكريمة وفوق ذلك شال من صنع الهند عليهِ تطريز بديع بخيوط الذهب والجواهر . وعلى رأْسها عراقية مثل العراقية التي كانت عليهِ في بيت عنيا لكنها كانت الآن مغطاة بحجارة الماس بدل اللولوءِ

ولما دنت من ابيها قال لها لا اظنهم يأْتون فعلى مَ ننتظرهم

حواءُ — لا بدَّ من مجيئهم يا ابي وقبل ان اتمت كلامها دخل الخدم ومعهم ضيفان جديدان تنكرد والامير فخر الدين (ستأْتي البقية)

حديث مع الجناب العالي

قصر تاتيانيا

قرأتُ في جرائد جنيف ان سمو الخديوي المعظم قدم جهات نيون على سواحل بحيرة ليمان ونزل في قصر تاتيانيا للاستحمام بمياه ديفون مدة من الزمان . فكتبت من فوري الى سعادة الفاضل شفيق بك رئيس الديوان الخديوي الافرنجي ان يتفضل فيرفع الى الجناب الفخيم رغبتي في التشرف بمقابلتهِ لتقديم واجب السلام ورفع عريضة الولاء مع التعظيم فكتب سعادتهُ اليَّ ان سموهُ يقابلني عصر ٢٢ الجاري قبل ان يغادر نيون و يصعد في جبال سويسرا. فنزلت في غداة ذلك النهار الى نيون وسرتُ قاصدًا قصر تاتيانيا والسماءِ تذرف دموع السحاب والبرق يقرطق ظهور الهضاب وما زالت المركبة تجري بي بين المروج والرياض والحدائق والغياض فاطل تارةً على بحيرة ليمان وطورًا على القصور والافدان وانا اخالني لشدة المشابهة سائرًا بين بيروت ولبنان حتى وقعت عيني فجأَةً على الراية المصرية تخفق وسط الحدائق والبساتين على ما تحتها من الاشجار والرياحين. فعلمتُ انني دنوت من قصر تاتيانيا وكأَني انتقلت الى خمائل القبة او فناء عابدين . فجعلت امتع الطرف بمحاسن الحدائق والخمائل التي غرسها البرنس يوسوبوف الروسي منذ ثلاثين عامًا واتطالُّ لرؤْية القصر المنيف الذي شادهُ لزوجتهِ فيها واستعظمُ ما انفق عليهِ من الالوف والملايين ثم اتذكر كيف اغتالتهُ يد المنون في وطنهِ منذ ثماني سنين واقول انهُ غرس ولكن لغيرهِ وشاد ولكن لسواهُ فان قصرهُ يهجر الآن حتى يؤْجر لمن يجيء تلك الجهات من الامراء والملوك . وما زلتُ اميل تارةً ذات اليسار وطورًا ذات اليمين حتى دخلت بي المركبة من رتاج عظيم الى جنة نضرة ووقفت بي امام باب القصر حيث انست برؤْية بعض من الخدم والحشم وقوفًا على رؤُوسهم الطرابيش بعد ما ملَّت عيناي من رؤْية البرانيط دون سواها مدة غيابي عن مصر . ولما دخلتُ الباب التقيتُ بحضرة عزتلو ياور بك من موظفي المعية وكنا قد سافرنا من الاسكندرية على باخرة واحدة فسلمنا وحمدنا اللقاء وسار بي حتى جمعني بسعادة الفاضل شفيق بك فسلمنا تسليم المشتاق بعد طول الفراق واتفق ان سعادة اسكندر باشا فهمي العضو الوطني في مجلس ادارة سكة الحديد كان متشرفًا حينئذٍ بمقابلة الحضرة الفخيمة الخديوية فقضيت لحظة الانتظار في غرفة شفيق بك اسمع منهُ اخبار مرض الجناب العالي وشفائهِ حتى ودع سعادة اسكندر باشا وخرج من الحضرة وامر سموهُ فتشرفتُ بالمقابلة

مرض الجناب العالي وشفاؤه

ولما دخلت قاعة الاستقبال اذا سموهُ واقف فيها بوجههِ الصبوح وثغرهِ الباسم يرحّب بي ترحيب شرقي ورث كرم الاخلاق أبًا عن جد • وجمع بين رقة الجانب وانس المحضر وبين عظمة الملك وهيبة السؤدد ويتلطف اليَّ في السلام والكلام ويتعطف بتقريبي منهُ واجلاسي بجانبهِ حتى دهشتُ مما شاهدتُ من التنازل واللطف اشد مما يدهش الانسان من الهيبة وظواهر الصولة. ثم انطلق لساني بحمد الله على ما أرى على وجه سموهِ من علائم الصحة ودلائل العافية بعد المرض المضني الذي اقلق بال الامة

فقال سموهُ اني احمد الله على ذلك فقد ذُقتُ من ذلك المرض الاهوال وقضيتُ ثمانية ايام لم أذق فيها طعامًا غير المرق حتى خارت قواي لان سقف حلقي ورم وكذلك لثتي ولم أعد استطيع مضغ الطعام من شدة الالتهاب . واظن ان كثيرين يحسبون ان المرض اصابني في حنجرتي وليس كذلك فان حنجرتي وبلعومي كانا سليمين . ومما زادني ارتباكًا وحيرة انهُ اصابني في وقتٍ لم اكن أتوقعهُ فيهِ ولا كنتُ في متسع لهُ . فلذلك شددتُ عزيمتي وجعلتُ اقاومهُ واصارعهُ منذ شعرت بهِ في كولوني وصبرت عليهِ حتى ركبت اليخت الملكي وشخَّصهُ طبيب اليخت بالدفثيريا كما شخصهُ كوتسكي بك طبيبي . فأيقنتُ حينئذٍ انهُ لم يبقَ مجال للقيل والقال ولا باب للاراجيف ولا لاشاعات الذين كانوا ربما يقولون ان الخديوي تمارض ليتخلص من زيارة لا يريدها ومن مقابلات يكرهها ونحو ذلك من الاقاويل التي يتوهمها قوم توهمًا ثم يذيعونها كانها حقائق لا ريب فيها . وعدتُ بعد التأمل فقلتُ ان اصابتي بهذا المرض وانا في اوربا خير من اصابتي بهِ قبل المجيء اليها لسدها كل سبيل للقول والارجاف من هذا القبيل . ثم عادني الدكتور سيمونس الشهير وهو الماني مستوطن انكلترا منذ زمان طويل وشهد حرب المانيا وفرنسا كأنهُ جندي بسيط بطوعهِ واختيارهِ فقال لي بعد الفحص انهُ يظن ان مرضي ليس الدفثيريا ولكنهُ لا يجزم بماهيتهِ الاَّ بعد عيادة أُخرى فاطمأَن بالي ولكنهُ غيَّر رأْيهُ بعد العيادة الثانية ورجح رأْي الطبيبين الآخرين واشار بالحقن تحت الجلد باللقاح المضاد للدفثيريا قائلاً انهُ ان كان المرض هو الدفثيريا قاومناهُ بالحقن وان لم يكن الدفثيريا فالحقن لا يضرُّ فيهِ ثم اخذ بعض الغشاء الابيض الذي ظهر على حلقي ليربي مكروبهُ ويعلم نوعهُ بالبحث البكتيريولوجي بعد مضي اربع وعشرين ساعة ووجه معظم عنايتهِ الى قلبي لشدة تأثرهِ من هذا المرض فانهُ كان ينبض ١٤٠ نبضة في الدقيقة . فلما رأَيتُ ان ذلك الطبيب المشهور عدل عن رأيهِ الاول وبقي مترددًا في ماهية مرضي جسم الامر عندي وتشاءمت من عاقبتهِ

ولاسيما لاني بت اتقلب على جمر الانتظار مدة اربع وعشرين ساعة مع ما بي من انحطاط القوة المتأتي عن قلة الطعام ومن الضعف المتأتي عن السقام . ومع ذلك بقي وجهي على ماترى الآن لا تظهر عليهِ علامات الصحة والعافية

ثم تبين من البحث البكتريولوجي بعد الاربع والعشرين ساعة ان المرض من الامراض العفنية المعدية وانهُ كان يعدُّ قبل اكتشاف مكروب الدفثيريا الدفثيريا بعينها ولكنهُ غيرها ولما نقهتُ منهُ استرجعتُ صحتي وقوتي سريعاً حتى اني اتممت كل ما كان معيناً في بيان الزيارة بلا تغيير فيهِ ولا حذف شيء منهُ

امتنان سموهِ لابناء وطنهِ وللاجانب

قلت الحمد لله يا مولاي على شفاء سموكم ورجوع عافيتكم فان اخبار مرضكم اقلقت كل رعاياكم واعلم ان كل مصري جاء بلاد سويسرا في هذا الصيف كان يحسب مرض سموكم مرضاً في عزيز عندهُ كما كان شأن اخوانهِ المصريين في وطننا العزيز وكان يطرق كل باب للاستعلام عن صحة سموكم يومياً وعن رأي الاطباء في مرضكم

فقال سموهُ اني لا اقدر ان اصف لك يا دكتور ما وجدتُ في نفسي من البسط والارتياح وسط اشتداد المرض والم السقام مما ثبت لي من حب ابناء وطني لي وتعلقهم بي حتى كنتُ اقول على سريري ان الله ابتلاني بهذا المرض لامتحاني من جهة ولتطييب خاطري باظهار ما لي من الحب في نفوس شعبي فانا ممتنٌّ لهم عظيم الامتنان سواء كانوا داخل القطر او خارجهُ وشاكرٌ لهم على تعلقهم بي وكذلك شكري عظيم للاجانب الذين اثبتوا حبهم لي وعطفهم عليَّ في مرضي وخصوصاً جلالة ملكة الانكليز واعضاء العائلة المالكة الانكليزية ورجال الدولة البريطانية فان جلالة الملكة كانت تستعلم يومياً عني من اربعة من رجالها الذين معي واعضاء العائلة المالكة كانت استعلاماتهم عني متتابعة متواصلة . وكان اهتمامهم كلهم بامر صحتي يؤثر في نفسي تأثيراً عميقاً فانهم كانوا يبذلون جهدهم في تخفيف مشقة الاحتفالات والزيارات عليَّ ويرغبون اليَّ في وسط الحفلات الكبرى ان اقدّم راحتي ومقتضى صحتي في الاهتمام على كل المعاملات الرسمية . فذلك وشدة اعتنائهم بجعل مقابلاتي من احسن المقابلات في كل امر كلي وجزئي واحتفالهم بزيارتي كاحتفالهم بزيارات اعظم زائريهم من الملوك والامراء وقع في نفسي وقعاً عظيماً لما فيهِ من الدلالة على كرم الاخلاق وصدق الوداد وحسن النية

حنين سموه الى العائلة والوطن

ولكني لما اتممت زيارتي وعدت من انكلترا شعرت بضعف لا مزيد عليهِ وكأن كل قوتي

فارقتني فسافرت من كالي الى باريس ومنها الى ديفون وانا لا اكاد اقف على قدمي لشدة ما بي من الضعف حتى ان الاطباء في ديفون قالوا اني لا استطيع الانتقال الى هنا وأَبوا ان يسمحوا لي بحمام "الدوش" لعدم احتمالي لهُ ولكني اذهب كل يوم واستحم بميـاه ديفون واراني قد اكتفيت بالاربعة عشر حماماً التي استحممتها فيها فاسترجعتُ قوتي وعدتُ الى عافيتي

ثم تنفس سموهُ الصعداء وقال واني كنت اقضي في هذه الجهات ستة اسابيع ولكن ارى ان فراقي لعائلتي قد طال (وبانت عليهِ علامات الشوق الى ولي عهدهِ صانهُ الله وحماهُ والى الاهلين والاوطان) فأَرى الاولى بي الاسراع الى الوطن ولذلك عزمتُ على السفر غداً وطلبتُ من شفيق بك ان يبلغك ذلك حتى تراني قبلما اسافر

نتيجة الزيارة لانكلترا

فقلت لسموهِ وعسى ان زيارة افندينا لانكلترا ارضتهُ من الجهة الخصوصية فكانت نتيجتها حسنة لمقام الخديوية وللبلاد المصرية . فاظهر سموهُ تمام الرضى من كل ما رآهُ وما سمعهُ سواءٌ كان من اعضاء العائلة المالكة او من رجال الدولة البريطانية ثم قال ولا بدَّ ان تكون قد اطلعتَ على خطبة اللورد ماير محافظ لندن وحكمتَ بما لهـا من الاهمية الكلية حيث اكَّدَت حسن العلائق بيننا وبين الامة الانكليزية واثبتت باجلى بيان ان مقام الخديوية هو مناط امور مصر وعليهِ المعوَّل واليهِ المرجع فيهـا . فنتيجة زيارتي للندن امر جلَل ومرادي ان اعيد الزيارة لها من حين الى حين اذا سنحت الفرص ووافقت الاحوال لتجديد عهود الوداد وتوكيد العلائق التي تفيد البلاد

فقلت نعم يا مولاي الي طالعت تلك الخطبة بتأَمل وتدبر وادركتُ منها ما اشرتم سموكم اليهِ ولا شك عند كثيرين من المخلصين الولاء لسموكم من رعاياكم ان هذه السياسة من احسن السياسات التي تنيل مقـام الخديوية غايتهُ وتفيد بلادهُ. وقد علمتُ من صديق يكاتبني من لندن ان زيارة سموكم اثَّرت تأْثيراً حسناً جداً في اذهان الانكليز وان بعضاً من اكابرهم قال انهُ وجدكم أَدرى كثيراً باحوال بلادكم مما كان يظنهُ فيكم قبل اجتماعهِ بكم

فقال سموهُ ان المستر تشمبرلن والمستر جوشن (من وزراءِ انكلترا) حدَّثاني طويلاً وسأَلاني عن مصر واهلها واحوالها واشغالها واعمالها تفصيلاً . ثم تبسَّم سموهُ وقال ولحظتُ بعد ذلك عليهما انهما استغربا معرفتي لبلادي واهلها واني ممازج لشعبي ومطلع على احوالهِ واشغالهِ

الخطة السياسية المصرية

ثم انتقل سموهُ من التعميم الى التخصيص واطال في ذلك فاقتطفُ من اقوالهِ الغرّ ما

يوافق المقام وما يستدل منهُ الكاتب على الخطة السياسية التي يظهر ان سموهُ يجري عليها الآن في تدبير الامور المصرية . قال اعزَّهُ الله وقد تكلمت مع كثيرين من رجال الدولة البريطانية عن جناب اللورد كرومر في زيارتي للندن فاخبرتهم صريحًا بما أراهُ وما اعتقدهُ فيهِ حيث قلتُ اني احترمهُ كثيرًا واجلُّ قدرهُ لاني وجدتهُ بعد الاختبار رجلاً هامًا امينًا يخدم دولتهُ ويسعى في مصلحتها بالصدق والاستقامة . وان كنا نختلف في الرأي احيانًا فهذا الاختلاف امر لا بد منهُ بين اثنين ينظر كلٌّ منهما من جهتهِ ويسعى في مصلحة خاصتهِ . ولو رأيتُ منهُ في ما مضى ضعفًا يستمال بهِ عن جادة الصدق والامانة لانحطّت منزلتهُ في عينيّ ولم يكن لهُ عندي ما لهُ الآن من الاكرام والاحترام . وقد عرفتهُ ساعات الغيظ والرضى واجتمعت بهِ ايام الانس والجفاء وعاشرتهُ في الاتفاق والاختلاف فعرفت طباعهُ واخلاقهُ وصار سهلاً عليَّ حل المشاكل وانجاز الامور معهُ فوجودهُ عندنا محبوب عندي وميسّر لقضاء المهام عليّ . وبعد ما اسهب سموهُ في هذا المعنى طويلاً قال وان كل مسألة انحصرت بيني وبين اللورد كرومر ولم يدخل فيها سوانا ولا تعدَّت الى غيرنا زالت مشاكلها بيننا وانحلت على ما يرام بخلاف المسائل التي كان يتعرض لها سوانا معنا وتتناقلها افواه غيرنا فانها كانت تزداد اشكالاً وتعقيدًا وتتعدَّد وجوه الاختلاف فيها يومًا فيومًا ثم تنتهي على غير ما يرام حتى ثبت لي بعد الاختبار ان بعض المتعرضين كان يتوخى ايغار الصدور والقاء الجفاء والنفور بيننا لغرض يعلمهُ الله . واما الآن فذلك قد زال ولم يبقَ للسعي في التفريق مجال. ثم اثنى سموهُ في سياق الكلام على جناب المستر غورست المستشار المالي لما يبدي من حب الاتفاق ولسعيهِ في تأليف القلوب وتذليل المصاعب وحلّ المشاكل في المسائل التي تعرض للحكومة ومدحهُ على سعة عقلهِ وسمو ادراكهِ ورحب صدرهِ وحسن نيتهِ وصفاء طويتهِ . ومدح جناب السر رنل رود ايضًا على لطفهِ وظرفهِ وكمال ادبهِ واجتهادهِ في تسهيل الزيارة على سموهِ ولم يبخس سعادة السردار حقهُ من المدح ايضًا

وقال سموهُ قبل ان انتقل من هذا الحديث الى غيرهِ اني لما وصلت الى كالي كلّفت الكولونل كارنجتن ياور الملكة الذي كان بمعيتي ان يبلغ جلالتها شكري لفضلها ولاعضاء عائلتها على ما لقيتُ من الحفاوة وحسن الضيافة والاكرام وما رأيتُ من دلائل الوداد وحسن الوفاء وكلفت السر رنل رود ان يبلغ اللورد سالسبري وسائر النظار شكري وامتناني ويخبرهم اني سائر الى ديفون توًّا ثم اعود في اواسط الشهر القادم الى بلادي ويحتمل اني اعرّج على الاستانة في عودتي لزيارة الحضرة الشاهانية بضعة ايام حسب عادتي

فيتبين القارئ من الطرف الذي اوردتهُ من اقوال سموهِ ايدهُ الله صدق ما قلتهُ في مقالتي عن زيارة سموهِ لندن ان تلك الزيارة عنوان سياسة المسالمة والاتفاق والتعاون على الاصلاح . واني وان كنت على يقين ان هذه السياسة التي تستصوبها حكمة الجناب العالي هي عين السياسة التي يستصوبها جناب اللورد كرومر واكابر المحتلين للقطر المصري وانها عين ما تتمناهُ الدولة البريطانية كلها من جلالة ملكتها الى اصغر رجال حكومتها لا أَرى بدًّا من تنبيه صغار المحتلين الى هذا الامر الجلل والسلوك على مقتضاهُ حتى يكونوا مثل رؤَسائهم واكابرهم قدوة لغيرهم في دماثة الاخلاق وحسن السلوك ورقة الجانب ولا يجعلوا للمصريين سبيلاً للشكوى من تكبرهم وتغطرسهم ومعاملتهم لهم بالازدراء والاحتقار . فليعتبروا كيف عاد الجناب العالي من بلادهم وكلهُ السنة شكر وثناء على امتهم للطف ملكتها ورقة جانب امرائها وحسن اخلاق اكابرها وعظمائها بل ليعتبروا كيف يثني كل مصري عرف رجال الوكالة البريطانية في مصر على لطفهم واحترامهم للوطنيين ومعاملتهم لهم باللطف والرقة وليقتدوا بفضلائهم في معاملة المصريين والابتعاد عما يسوءُهم واجتناب اسباب الخصومة والنزاع ولا سيما بعد ما ثبت لهم ميل الاهالي جميعهم الى مسالمتهم ومحاسنتهم

عودة سموهِ الى الاسكندرية

وسأَلت سموهُ في سياق الحديث قائلاً والى اين تقصدون سموكم بالسلامة في سفركم من هنا

فقال اني اسافر غداً (الاثنين في ٢٣ الجاري) قاصداً اجبال سويسرا واتنقل من مكان الى مكان حتى اصل الى فينا في اول اغسطس ثم البث فيها بضعة ايام وحينئذٍ فإِما ان اسير الى الاستانة لزيارة الحضرة الشاهانية واقيم هناك حوالي اسبوع من الزمان ثم ارجع مع عائلتي منها . واما ان اسافر الى الاسكندرية توًّا ولا اعرّج على الاستانة وتوافيني عائلتي من الاستانة اليها . وسواءٌ عرجت على الاستانة او لم اعرج عليها فاني اصل الى الاسكندرية في اواسط شهر اوغسطس ان شاء الله

وبعد ما قضيت بين يدي سموهِ نحو ساعتين اذن لي فقمت وانا اثني جميلاً واطلب لسموهِ عمرًا طويلاً

واستأْذنتهُ قبل الوداع في نشر بعض الحديث قائلاً اني اعلم يامولاي ان احاديث الملوك والامراء عزيزة يضن بها على الجرائد ولا يمنُّ بادراجها ونسبتها الى اصحابها الاَّ عند ارادة امر خطير والامر الذي تكرمتم سموكم فانبأْتموني بهِ امر جلل يهم جميع المصريين فهلاَّ تفضلتم فاذنتم لي في نشرهِ افادة للجمهور . فافترَّ سموهُ وتوقدت نار الذكاء في عينيهِ ثم حولهما نحوي وادام

نظرها اليَّ وهو يعمل الفكرة الثاقبة في ما هو معروض عليهِ. ثم قال افعل ما تجدهُ نافعاً. فخرجت وانا اكرر الدعاء واسرعت الى النزل الذي انا فيهِ وارسلت اليكم بهذه العجالة ليطلع القراءُ الكرام على ما يتشوفون اليهِ من اهم اخبار سمو الامير حفظهُ الله وزاد عزهُ وعلاهُ

نيون (بسويسرا) في ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٠ (فارس نمر)

البعوض والحمّى

وكيفية اتقائهما

يعذرنا القراءُ اذا عدنا الى هذا الموضوع لانهُ ليس بين المباحث التي يهتم بها الآن علماءُ الطب وعلماءُ البيولوجيا وعلماءُ حفظ الصحة عموماً ما هو اهم منهُ بل يجب ان يكون لهُ الشأن الاكبر في نظر كل انسان لانهُ ما من احد الاَّ وأُصيب بالحمّى الملارية او اصيب بها احد اخوتهِ او اخواتهِ او اقاربهِ وودَّ ان يعرف سبيلاً للنجاة منها وقد صار هذا السبيل معروفاً ميسوراً كما سترى في ما يلي

ظنَّ كثيرون من زمان قديم ان للبعوض علاقةً بالحمّى الملارية . ولم يقتصر ذلك على المتعلمين الذين يرقبون الحوادث الطبيعية ليردوها الى اسبابها بل شاركهم فيهِ المتوحشون فقد وجد الدكتور كوخ الشهير اناساً من سكان افريقية الاصليين في املاك المانيا بشرقي افريقية يعرفون ان الحمى التي يصابون بها اذا نزلوا من جبالهم الى السهول تأتيهم من لسع البعوض وهم يسمون هذه الحمى وهذا البعوض اسماً واحداً. وهذا شأن الفلاحين في بعض جهات ايطاليا فانهم يعتقدهم ان الحمى الملارية تأتيهم من لسع البعوض

ثم لما اكتشف لافران الجراثيم الحية في دماءِ المحمومين ظنَّ انها تنتقل منهم الى البعوض الذي يلسعهم ويمتص دمهم والبعوض ينقلها الى من يلسعهُ من الاصحاء فيصاب بالحمى لكنهُ لم يستطع اثبات ذلك بالامتحان ولا بالدليل

ثم وجد الدكتور غولجي وغيرهُ ان هذه الجراثيم تخلف نسلاً وهي في جسم الانسان وذلك هو سبب ادوار الحمى لكن نسلها لا يبلغ تمام نموهِ وهو في جسم الانسان ولا يبلغهُ اذا خرج منهُ وخرج من الدم ايضاً . ولا بدَّ لهُ لاتمام دور من ادوار نموهِ من ان يخرج من جسم الانسان مع قليل من دمهِ. وعليهِ فلا سبيل لانتقال الحمى من المحموم الى السليم بواسطة تنفُّس المحموم او نفثهِ او عرقهِ او مبرزاتهِ اذ لا بدَّ من خروج شيءٍ من الدم مع هذه الجراثيم

لكي يتم هذا الدور من نموها فيهِ وهو خارج جسم الانسان. ورأى الدكتور مانسون ذلك سنة ١٨٩٤ فاستنتج ان العدوى تنتقل من المحموم الى غيرهِ بواسطة البعوض الذي يلسعهُ ويمتص شيئًا من دمهِ فتتم كل الشروط اللازمة لنمو هذه الجراثيم في دم الانسان وخارج جسمهِ لكنهُ لم يثبت ذلك بالامتحان. واراد ان يمضي الى بلاد تكثر الحميات فيها مثل غينيا الجديدة فلم يستطع. فنشر رأيهُ هذا لكي يثبتهُ غيرهُ بالامتحان. وكان الدكتور روس قد جاء بالاجازة من الهند فقابلهُ وشرح لهُ رأيهُ وما يعلمهُ من هذا القبيل فعاد الى الهند وجعل يبحث وينقب ويشرّح البعوض بعد لسعهِ للمحمومين فلم يعثر على ما اراد الاَّ بعد عناءٍ كثير وتعب طويل. وجرى غيرهُ من العلماء الايطاليين مجراهُ فثبت لهم ان جراثيم الحمى الملارية التي تصيب الانسان لا تنمو في كل انواع البعوض بل في نوع واحد منها مرقَّط الجناحين قليل الوجود جدًّا فهو عدو الانسان الذي ينقل عدوى الحميات الملارية من شخص الى آخر. وغنيٌّ عن البيان اننا اذا عرفنا هذا النوع من البعوض وميزناهُ عن غيرهِ سهل علينا اتّقاءُ الحميات الملارية

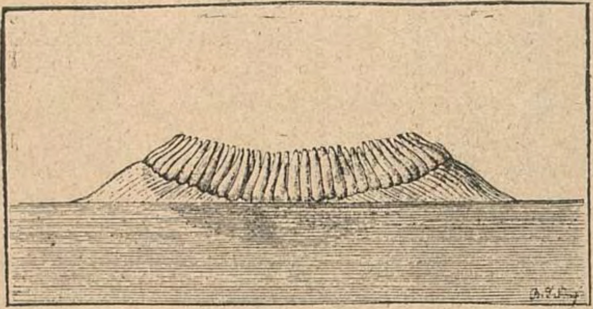

الشكل الاول بيض البعوض طافيا على وجه الماء كما يرى من جانبهِ وهو مكبر جدًّا

وهذا البعوض يمتاز عن البعوض العادي في كل اطوارهِ كما سترى. وقبل ذلك نقول ان البعوضة العادية تبيض على وجه الماء الراكد او البطيء الجريان وتختار من الماء ما ليس فيهِ سمك لان السمك يأْكل صغارها وتلصق بيضها بعضهُ ببعض في شكل قارب يطفو على وجهِ الماء كما ترى في الشكل الاول. وبعد اربعة او خمسة ايام يخرج من كل بيضة دودة صغيرة تسبح في الماء وتتدرَّج هذه الدودة على اطوار مختلفة الى ان تصير بعوضة وقد اوضحنا ذلك كلهُ بالرسوم الكثيرة في الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين. ورسمنا ايضاً صورة هذا القارب والدود الخارج منهُ في درجات مختلفة من نموهِ عند الرقم ١ في الشكل الثاني المرسوم بعدُ

اما بعوض الحمى الملارية فلا يلصق بيضهُ بعضهُ ببعض بل يضعهُ على وجه الماء متفرقًا فيدنو

بعضهُ من بعض كما تدنو كل الاجسام الخفيفة الطافية على وجه الماء ترى هذه البيوض عند

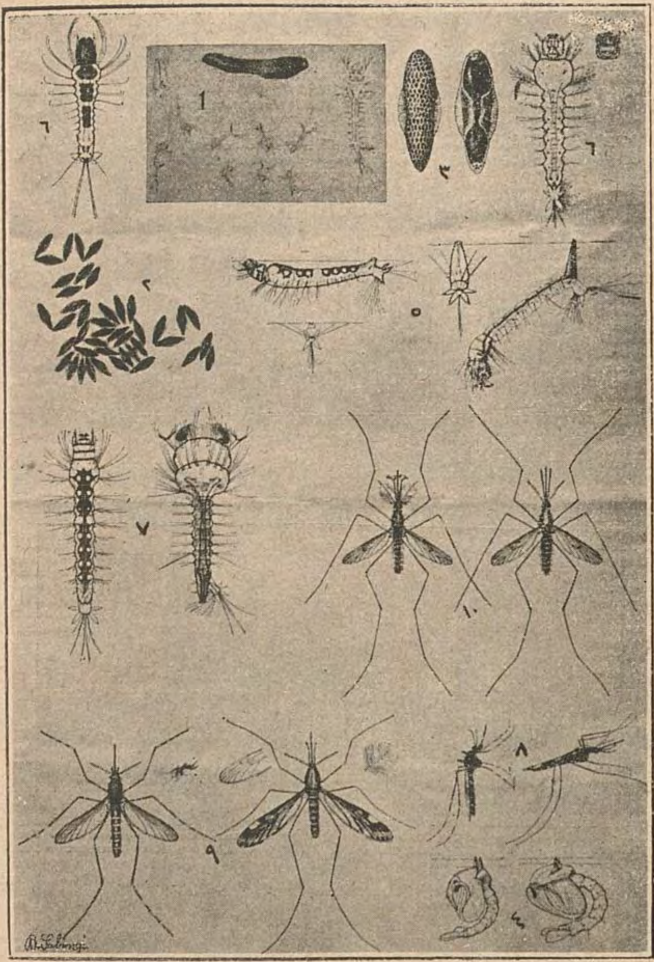

الشكل الثاني (١) بيض البعوض العادي وعومهُ في الماء. (٢) بيض بعوض حمى الربع الملاريّة (٣) بيضة مكبرة كثيرًا من هذا البيض تظهر من وجهيها. (٤) عوم البعوض في حالة الزيز او الشرنقة اليمنى لبعوض الحمى واليسرى للبعوض الاعتيادي (٥) اليمنى عومة البعوض الاعتيادي وهي تتنفس واليسرى عومة بعوض الحمى لاصقة بسطح الماء. (٦) اليسرى عومة بعوض الحمى حال ظهورها من البيض واليمنى بعد ما تنمو. (٧) عومة البعوض العادي الى اليمين وعومة بعوض الحمى الى اليسار. (٨) شكل البعوض في وقوفهِ فالتي الى يمين الرقم بعوضة الحمى والتي الى يسارهِ بعوضة عادية (٩) التي الى يمين الرقم بعوضة الحمى وهي مرقطة الجناحين وقرناها حول خرطومها طويلان. والتي الى اليسار بعوضة عادية وقرناها قصيران. (١٠) بعوض الحمى الانثى الى يمين الرقم والذكر الى يسارهِ

الرقم ٢ في الشكل الثاني وهي متفرقة مستدقّة من طرفيها كحبوب الشعير لكنها في الرسم مكبرة جدًّا عما هي في الحقيقة. وقد كبرت واحدة منها ايضاً ورسمت من وجهيها فوق الرقم ٣ وعددها قليل بين اربعين ومئة واما بيوض البعوض العادي فنحو اربع مئة او اكثر. وواضح من ذلك ان شكل البيض ووضعهُ على وجه الماء يختلف في بعوض الحمى عما هو في البعوض العادي اختلافاً كبيراً جدًّا . فاذا رأيت بيوض بعوض الحمى في بركة او ترعة فاعلم ان بعوض الحمى موجود هناك

والديدان او العوَم التي تخرج من البيض وتصير بعوضاً تختلف ايضاً في بعوض الحمى عنها في البعوض العادي في بنائها وغذائها وطبائعها وشكل وقوفها في الماء . فعُوَم البعوض العادي تصعد الى وجه الماء لتتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها سطح الماء ثبتت تحتهُ مائلة على زاوية كما ترى على يمين الرقم ٥ في الشكل الثاني وتبقى هناك لحظة ثم تغوص في الماء لتفتش عن شيءٍ تأْكلهُ ثم تعود الى وجهِ الماء كل دقيقة او دقيقتين. وكأَنها اثقل من الماء فتتلوَّى حتى تصعد الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأَنها جسم ثقيل طُرِح في الماء

اما عوَم بعوض الحمى فتقضي اكثر الوقت عند سطح الماء وانبوب التنفُّس في ذنبها قصير جدًّا اقصر منهُ في عوم البعوض العادي فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ . ورأْس هذه العوم يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتاكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل . وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجهِ الماء. وجسم هذه العوم قاتم اللون يكاد يكون اسود واما جسم عوم البعوض العادي فرمادي او ضارب الى الصفرة . والظاهر ان عوَم بعوض الحمى خفيفة ثقلها كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الاَّ بتعب ولذلك لا تغوص فيهِ الاَّ اذا خافت

ورأْس عوم البعوض العادي اكبر من رأْس عوم بعوض الحمى كما ترى عن جانبي الرقم ٧ فان التي عن اليسار عومة بعوض الحمى والتي عن اليمين عومة البعوض العادي وهما صغيرتان جدًّا ويبقى هذا الفرق بينهما ولو كبرتا والاهداب التي حول الرأْس مختلفة في النوع الواحد عنها في الآخر كما ترى في الاشكال المتقدمة

والعوم تستحيل الى زيزان او شرانق كما هو الحال في غيرها من الحشرات . وهذه تختلف ايضاً في النوعين اختلافاً بيناً كما ترى على جانبي الرقم ٤ فان التي الى يسار الرقم شرنقة البعوض العادي والتي الى يمينهِ شرنقة بعوض الحمى

ويختلف هذان النوعان من البعوض في شكلهما وكيفية وقوفهما على الحائط . اما

اختلاف شكلهما فيظهر عند الرقم ٩ فان البعوضة التي الى يمين الرقم انثى بعوض الحمى الملارية والبعوضة التي الى يسار الرقم انثى البعوض العادي . ومعظم الفرق في ترقيط الجناحين وفي طول القرنين اللذين على جانبي خرطومهما فانهما طويلان في بعوض الحمى وقصيران في البعوض العادي

ومعلوم ان ذكَر البعوض لا يمتص دماً فلا ضرر منهُ وريشتا رأسهِ طويلتا الاهداب . وترى عند الرقم ١٠ صورة ذكر بعوض الحمى وانثاهُ فالذكر الى اليسار والانثى الى اليمين فيسهل التمييز بينهما

ثم اذا وقفت بعوضة الحمى على سقف او حائط كان وقوفها عمودياً على السقف او الحائط كما ترى الى يمين الرقم ٨ واما البعوضة العادية فتقف موازية للحائط او للسقف كما ترى على يسار الرقم ٨ ورأس بعوضة الحمى يكون على استقامة بدنها كما ترى في هذا الرسم واما رأس البعوضة العادية فيكون مائلاً عليهِ كما ترى

وبعوض الحمَّى المرسوم ههنا هو بعوض حمي الربع والظاهر انهُ نفس بعوض بقية الحميات الملارية او ان بعوض هذه الحميات يشبههُ ويخالف البعوض العادي كما تقدَّم . وقد نقلنا الصور التي في الشكل الثاني عن جريدة السينتفك اميركان وهي واردة في مقالة للدكتور هوَرد صورها من بحثهِ الخاص في الربيع الماضي في مدينة وشنطون

واذا عرف الانسان عدوهُ لم يتعذَّر عليهِ اتقاؤُهُ فعدو الانسان الذي يبليهِ بالحميات الملارية هو هذا النوع من البعوض وهو لا يتولد الاَّ في المستنقعات والبرك الخالية من السمك فاذا ربي السمك فيها او نُزح ماؤُها حتى تجف لم يبقَ سبيل لتولد هذا البعوض وكذلك اذا صُبَّت فيها مادة تميت عومهُ كزيت البترول

والحميات الملارية كثيرة في هذا القطر والقطر الشامي وقد رأينا ان علماء الطب يغادرون بلادهم ويمضون الى اقاصي افريقية او اقاصي الهند الى البلدان التي تكثر فيها الحميات لكي يبحثوا عن علاقة البعوض بها . أفلا يهتم احد من الاطباء الشرقيين في هذا القطر والقطر الشامي بالبحث عن البعوض الذي ينقل عدوى الحمى ويدرس طبائعهُ عسى ان يكتشف طريقة تقي منهُ فيفيد ابناء نوعهِ ويخلد لنفسهِ الاسم الحسن بين العلماء الذين افادوا نوع الانسان . وقد صار اسلوب البحث سهلاً جداً الآن بعد كل ما اثبتهُ العلماء المحققون في هذا الموضوع فليس على الباحث الاَّ ان يقف على ما اكتشفوهُ وحققوهُ ثم يزيد عليهِ ما تستتب لهُ زيادتهُ

آثار الانامل

واستخدامها في مصر للدلالة على المجرمين

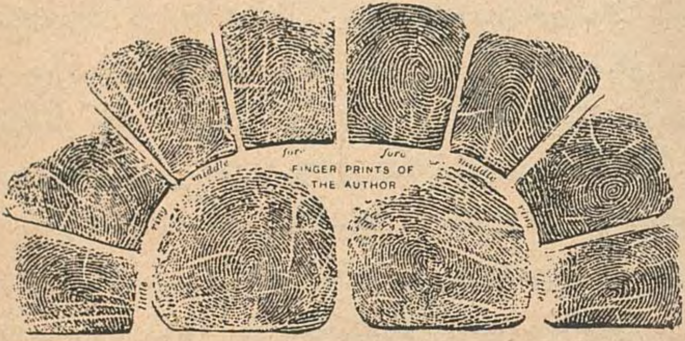

لم تبقَ بنا حاجة لوصف آثار الانامل وكيفية اهتداء العالم فرنسيس غالتون الى استخدامها في الدلالة على المجرمين بعد ما كتبناهُ قبلاً في هذا الموضوع . وقد عرف قرَّاء المقتطف ان هذا العالم الشهير زار القطر المصري في الشتاء الماضي وتفضَّل بزيارتنا مرارًا وهو شيخ كبير السن في الثامنة والسبعين من عمرهِ لكنهُ في همَّة الشبان. فلم يكد يأتي العاصمة حتى بحث عن استخدام طريقتهِ فيها للدلالة على المجرمين كما استخدمت في بلدان اخرى فوجد ان سعادة هارفي باشا حكمدار العاصمة يستخدمها لهذه الغاية وكتب في ذلك مقالةً ضافية في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية ابان فيها كيفية استعمال طريقتهِ في هذا القطر وقال فيها ما ترجمتهُ

والآن أتكلم عن المكان الذي تستعمل فيهِ هذه الطريقة في القاهرة وهو مثال في النظام والفائدة. ومما يحسن ذكرهُ في هذا المقام ان هارفي باشا ادخل هذه الطريقة ونظَّم استعمالها من تلقاء نفسهِ . والآن يُطلَب من البوليس معرفة شخصية المتهمين الذين تتعذَّر معرفة شخصيتهم وقد استُخدم هذا النظام منذ سنة ١٨٩٧ مع نظام القياس ولكنهُ لم يتطرَّف فيهما

وبلغ عدد المجرمين الذين طُبِعَت آثار اناملهم ٢٠٨٣٦ نفساً سنة ١٨٩٩ وهم ١٨٥٨٢ من الرجال و٦٦١ من النساء و١٥٩٣ من الاولاد وآثار كل انسان مطبوعة على ورقة خاصَّة بهِ وعليها قياسهُ ووصف مزاياهُ الشخصية واسمهُ وجرائمهُ . وهذه الاوراق مرتبة في ٢٤٣ درجاً واوراق كل درج مرتبة حسب نوع الآثار . وهناك اربعة من المستخدمين بيدهم هذه الاوراق وهم غاية في الذكاء والهمة وقد امتحنتهم لارى في كم من الوقت يعرفون اسم انسان لو رأوا آثار انامله فكنت استخرج ورقة من الاوراق المزدوجة واريهم ما عليها من الآثار واطلب منهم

ان يجدوا اسم صاحبها فوجدت انهم كانوا يعرفون الشخص في اقل من دقيقة وعرفوهُ مرة في احدى عشرة ثانية من الزمان

وقد افادت هذه الطريقة فائدة جليلة في القطر المصري فلم يعد المجرم يستفيد من تغيير اسمهِ ولا ينضرّ غيرهُ اذا كان اسمهُ شبيهاً باسم رجل مجرم. والذين تحت مراقبة البوليس صاروا يُعرَفون اذا هربوا وبُحث عنهم بهذه الطريقة . وقد حدث في سجون مصر ان انساناً محكوماً عليهِ بالعقاب سنين كثيرة أُطلق سبيلهُ بدل انسان آخر محكوم عليهِ بالعقاب مدة قصيرة لما انتهت مدة عقاب هذا لان اسميهما متماثلان . ولم يُنصَف هذا المسكين الاَّ حينما اثبتت آثار انامله انهُ غير الرجل الذي أُطلق خطأً او عمداً مثال ذلك انهُ كان في سجن الحوض المرصود رجلان اسم كل منهما حسن محمد احدهما محكوم عليهِ بالسجن شهر ولما انقضي الشهر وذلك في ٢٨ دسمبر سنة ١٨٩٨ أُطلق حسن محمد الاول المحكوم عليهِ بالسجن سنة وأُبقي الثاني في السجن . وامثال ذلك كثيرة منها ان رجلاً ارمنيًّا اسمهُ باغوص سنوسيان حكم عليهِ بالسجن مدة قصيرة لجريمة حقيرة فرضي ان يبقى في السجن بدل ارمني آخر اسمهُ كرنك مردنيان كان قد حكم عليهِ بالسجن مدة طويلة . ولم تعرف ادارة السجون ذلك الاَّ بعد ان قيس باغوص سنوسيان ثانية وطبعت آثار انامله حينما أُريد اخراجهُ من السجن فوجد قياسهُ مختلفاً عن قياسهِ الاول وآثار انامله مختلفة عن آثارهِ الاولى . وسُئلت ادارة تحقيق الشخصية في ذلك فوجدت ان هذه الآثار هي آثار كرنك مردنيان لا باغوص سنوسيان وفُتش عن هذا الرجل وقُبض عليهِ فوجد ان الآثار الاولى آثارهُ حقيقة لا آثار باغوص

ويستعمل هذا التحقيق الآن لمعرفة سوابق الخفراء وسوابق الخدم وفائدتهُ جلّي ولا سيما في القطر المصري حيث تتشابه الاسماء كثيراً ويسهل على الشخص الواحد ان يغير اسمهُ مراراً

ويظهر من مقالة المستر غالتون ان تحقيق الشخصية بآثار الآثار صار كثير الاستعمال في بلاد الهند فكل الذين يقبضون المعاش تحفظ آثار اناملهم حتى لا يُبدلوا بغيرهم عن خطاء او عن عمد . وكل الذين يسجلون اوراقاً تثبت شخصيتهم بآثار أناملهم بدل ختومهم حتى يستحيل عليهم انكار ما فعلوهُ . ويعتمد على آثار الانامل في كثير من دوائر الحكومة. واذا طُرد رجل من خدمة مصلحة المساحة لسوء سلوكهِ رُسمت آثار انامله بالزنكوغرافيا وطبعت على الورق ووزعت على فروع تلك المصلحة حتى اذا اتاها يطلب خدمةً عرفتهُ ولم تستخدمهُ

هذا وقد علمنا نحن من حكمدارية البوليس في العاصمة ان الرجال يقاسون وقتما تطبع آثار اناملهم واما النساء فيكتفى بآثار اناملهنَّ لكي لا تعرَّى ابدانهنَّ وكذلك الصغار يكتفى

بآثار انامِلهم لان قياسهم يختلف بسبب نموهم . وقد ظهرت فائدة آثار الانامل في معرفة السوابق ظهورًا جليًّا مثال ذلك ان رجلاً ضُبط في سرقة بطنطا في ٢٦ مايو سنة ١٨٩٨ وادَّعى ان اسمهُ علي وهبه السوداني ولكونهِ غريبًا قيس وطبعت آثار اناملهِ وارسلت الى قلم تحقيق الشخصية في مصر للكشف عن سوابقهِ فاتضح لدى الكشف ان آثارهُ معروفة قبلاً وان الاسم الذي ادعاهُ هو غير الاسماء التي كان يدَّعيها قبلاً وان لهُ خمس سوابق معروفة عند الحكومة ثلاثًا منها سرقات ادَّعى في الاولى منها ان اسمهُ محمد حسن جعفر وفي الثانية ان اسمهُ جعفر عبده البربري وفي الثالثة ان اسمهُ حسن جعفر . وفي ١٩ يونيو من تلك السنة وردت من الاسكندرية اثار انامل رجل اسمهُ خليل علي وهبه ولدى البحث عنها وجد انهُ هو محمد حسن جعفر او جعفر علي البربري او علي وهبه السوداني ولم يكن يُعلَم حينئذٍ انهُ هرب من طنطا فسئلت مديرية طنطا عنهُ فورد الجواب منها انهُ هرب من السجن حقيقةً وحكم عليهِ غيابيًا وكانت المديرية آخذة في البحث عنهُ ولما أُتي بهِ الى المحاكمة انكر ان لهُ سوابق وطلبت النيابة تأجيل الدعوى وجيء بواحد من قلم المقاسات الى المحكمة لتحقيق شخصيتهِ فلما قيس ثبت بالدليل العياني انهُ هو صاحب السوابق المتقدمة وحكم عليهِ بالسجن سنة ثم استأنف فحكم عليهِ بالسجن سنتين

ولما قيس هذا الرجل في محكمة طنطا كان فيها رجل يدعي ان اسمهُ جريمبرج هرمان متهم بسرقة وكان قلم تحقيق الشخصية قد اثبت ان اسمهُ يعقوب بلال حيم وان لهُ سابقة في السرقة وحكم عليهِ بسببها في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨ بمصر فانكر ذلك كلهُ فلما ثبتت شخصية الرجل الاول في المحكمة امامهُ واقترب منهُ مستخدم قلم المقاسات ليحقق شخصيتهُ قاطعهُ قائلاً لا فائدة من الاستمرار على الانكار واعترف باسمهِ الاول وسوابقهِ . وحينئذٍ طلبت المحكمة من المستخدم المشار اليهِ ان يبقى فيها حتى ختام الجلسة فاعترف كثيرون من المجرمين بسوابقهم لانهم رأوا انكارها قد صار ضربًا من العبث

ومن هذا القبيل انهُ أُفرج عن رجل اسمهُ ابرهيم حسن خضر في ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٨ وكان مسجونًا في سجن طنطا ولم يوضع تحت مراقبة البوليس حين الافراج عنهُ وأُرسل قياسهُ وآثارهُ الى مصر فوجد حالاً ان هذا الرجل حكم عليهِ ثلاث مرات بالوضع تحت مراقبة البوليس في الاولى اربع سنوات وكان اسمهُ حينئذٍ محمد محمد الاشول وفي الثانية سنتين وكان اسمهُ ابرهيم محمد الطوخي وفي الثالثة سنتين ايضًا وكان اسمهُ ابرهيم محمد

وظهرت فائدتها ايضًا في تبرئة الابرياء من السوابق التي يحكم بها عليهم خطأً فقد قرَّر

قلم السوابق القضائي لمجرم احدى عشرة سابقة لكن قلم الفحص الانثربولوجي (اي الفحص بالقياس وآثار الانامل) اثبت ان تلك السوابق ليست لهُ بل لغيرهِ وان الجريمة التي ارتكبها حينئذٍ هي الاولى

ومن اكبر فوائدهِ سرعة تحقيق الشخصية فانهُ اذا قُبض على مجرم الآن في اية جهة كانت من القطر المصري وأُرسلت مقاساتهُ وآثارهُ الى قلم تحقيق الشخصية في العاصمة تعلم شخصيتهُ وما اذا كان لهُ سوابق ويرسل ذلك الى الجهة التي قُبض عليهِ فيها في مدة قصيرة جدًّا لا تزيد على ٤٨ ساعة بعد القبض عليهِ فلا تطول مدة الحبس التحفظي اكثر من ذلك وكان قبلاً يحبس اياماً واشهرًا قبلما يعلم شيء من امرهِ

وعسى ان يزيد اهتمام الحكومة المصرية بهذا القلم وتجعل لهُ فروعًا في كل المديريات وتستخدمهُ في تحقيق الشخصية في اقلام التسجيل بدل الختوم التي يلعب بها الختامون والمزورون حسبما يشاؤُون

هذا وقد صدَّرنا هذه المقالة بآثار انامل المستر غالتون منقولة عن كتابهِ الاول الذي نشرهُ في هذا الموضوع سنة ١٨٩٢

باب التقريظ والانتقاد

كتاب المحاماة

وضعهُ حضرة الاصولي الفاضل احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية في المحاماة وتاريخها على تراخي الايام لهذا العهد وفيما اجتمع لها وللقضاء من الجوامع وما لزمها من الحقوق وما حق لها من الواجبات. فكان عمل المؤَلف فاتحة هذا الباب بل كان هو سبَّاق غايات بمعنى انهُ لم يتقدمهُ متقدم عربي كتب في المحاماة سفرًا او جلَّى لها وجهًا فكأَنما هو اليوم اثبت في سجل الدهر ان المحاماة برزت من ضمير الايام في بلاد العرب على الجملة وفي مصر السعيدة على التخصيص. وقد قلَّبتُ كتابهُ وتقلبت بين ابوابهِ ومطالبهِ فما وجدت الرجل الأَ صادق العزيمة فيما جرَّد نفسهُ اليهِ اذ ترقَّت همة يراعهِ الى عهد اليونان والرومان العهيد ثم تحدَّرت برة الى هذا الجيل مجتازة وسط الاجيال غير واقفة بدار ولا مسلمة على ديَّار وما ذاك

الاَّ لان المدى الضارب بين دولة رومية وبين دول اليوم هو مدًى اجرد برئت منهُ الحضارة ودالت فيهِ المدنية الرومانية واستوت فيهِ دولة البربرة والجهل ولا محاماة الاَّ مع الحضارة. وفي عبارة اخرى ان وجود المحاماة يلزم عنهُ ولا مشاحة وجود الشرائع وقيام قسطاس العدالة ولا شرائع ولا عدالة مع ظلمات الظلم المتراكبة في ذلك الوسط من الدهر في البلدان الاوربية

وقد بوَّب حضرة المؤلف تأليفهُ تبويبًا حسنًا موطئًا لهُ بفاتحة اوضح فيها غرضهُ من هذا التأليف ثم شفعها بمقدمة على المحاماة من قبلُ وبمثلها عليها اليوم . وبعد هذا شرح حال المحاماة في ممالك الغرب حتى يؤْتى المطالع مقارنةً بينها ومقابلة الى ان افضى بهِ الكلام الى المحاماة في البلاد المصرية فاذا هي لم تكن شيئًا قبل نشأَة المحاكم المختلطة والاهلية. وكم نقَّب حضرتهُ وكم اخرج من خبايا الدفترخانات محفوظات فما زادتهُ ولا زادتنا اعتبارًا للمحاماة في ولاية محمد علي وابرهيم وعباس الاول وسعيد واسماعيل. على ان المؤلف وان كان قد اخذ تاريخ المحاماة عن كتب القوم كما اشار في مقدمتهِ الاَّ انهُ حفظ لنفسهِ فضل الاختيار وفضل الرأي وما ادخل عليهِ من العظات والحكم الغوالي . والمرء بحسن اختيارهِ حتى لقد قيل ان فضل ابي تمام الشاعر الطائي المشهور كان اتمَّ واظهر في ديوان الحماسة الذي جمعهُ من اشعار العرب منهُ في ديوانهِ على نفاسة هذا الديوان وكياسة صاحبهِ وما عقد فيهِ من عقود النظم المرقصات

بقي علينا ان نطلب مواقع الرأي الذي رآهُ صاحب التأليف ومواطن النظر الذي القاهُ في المحاماة والمحامين وفي القضاء والقضاة حتى يكون لنا موضع للقول نعلقهُ على ذلك

ولا شك ولا ريب ان من قرأَ اقوال المؤلف ثبت لهُ انهُ كان شريف الشعور نحو المحامين حتى انهُ انصفهم من القضاة انفسهم مع انهُ من ذوي الرئاسات فيهم فدعاهم الى اجلال المحاماة واكرامها واوصاهم بالرفق بها والارعاء عليها قائلاً ان المحاماة حلة الخير وجسر الفائدة بين الامة والقضاء

الاَّ انهُ حمل من جهة اخرى حملة شديدة على فرقة من المحامين ساءت فعلاً وساءت مصيرًا فصرفها عن مضطرب الطريق الى جادَّتهِ ودلها ابلغ الدلالة على الواجب والمفروض حتى كاد يبكيها ويستبكي عليها

وانما ذهب عن حضرتهِ الاستبلاغ في تنبيه الناس ان يصدقوا سيرةً ويستقيموا اطوارًا مع المحامين وانهم اذا لم يستنيموا الى طلبات المحامين فما حلَّ لهم في شرعٍ ولا في عرفٍ ان يجعلوا حقوقهم نهبًا منهوبًا او سلبًا مسلوبًا او يحسبوا خدعة المحامي ظفرًا مبينًا او ان يزين لبعضهم سوء الفهم ان يركبوا المحامي كل مركب خشنٍ في دعاويهم حسبان انهم متى صوَّروا لاقوالهم صورة

حسنة واضلوا محاميهم اضل هذا القضاء وان هذا شر ما يقع للمحامين مع ارباب الخصومات

ثم كان الاولى بحضرتهِ ايضاً ان يستلين عرائك رجال النيابة العمومية مع المحاماة فقد كثر تحامل بعضهم على المحامين مدلين بما اعطتهم اللوائح من حق السيطرة ورفع الدعوى وان اولى الناس بمياسرة المحامين ومجاملتهم انما هم رجال النيابة لما بين الطائفتين من جامعة الصناعة ولا يقدح في هذه الجامعة ما على وظيفة النيابة من المسحة الميرية وكفى بذلك تذكرةً لقوم يعقلون

ومما يُذكر للمؤلف بالحمد والثناء انهُ تحرَّج ايما تحرج في مناحي المحامي وطرق سيرهِ وما تقتضي هذه المناحي والوجهات من الطهر والشمم حتى غالى في الدعوة الى الترفُّع فقبَّح اموراً لا اخالها من مخازي المحاماة في شيءٍ مثلاً ذكر في الصفحة ٢٨٩ في عداد ما يؤْخذ على المحامي ان يعلق على باب دارهِ لوحة عليها اسمهُ واسم مهنتهِ للدلالة على مكان وجودهِ ولا اراهُ اصاب في هذه وليست المحاماة من وجوه العبادات والزهد في هذه الحياة الدنيا وانما هي حرفة شريفة من الحرف يرتزق منها اهلها وان اللوحة تهدي ذوي الحاجات القضائية الى من عساهُ ان يكشف غُمتهم ويسدَّ خلتهم وعلى ذلك جرى الافرنج ايضاً والشواهد كثيرة في العاصمة والاسكندرية

وكذلك تعييبهُ المحامي لو كتب على ورق مخاطباتهِ اسمهُ ومهنتهُ ولا ارى في هذا ايضاً غضاً من قدر المحاماة. وامثال هذين المثلين كثيرة في جدول المعايب التي رتبها حضرتهُ واستنفر المحامين منها فلتطالع الصفحات ٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩١ من الكتاب

ومن حسنات الكتاب للمصريين انهُ اشتمل على كثير من الاوامر العالية والقوانين واللوائح التي صدرت في عهد الولاية الخديوية حتى كاد تاريخ الادارة يزحم تاريخ المحاماة على ارض المحاماة اي في كتابها الموقوف عليها. وعذر المؤلف في ادخال هذا على المحاماة احكام الرابطة بين المحاماة والحكومة وانهُ لم يتيسر لهُ في مطالعاتهِ التي اتاها في دفترخانات الحكومة وفي مكاتبها الاَّ ما نقلهُ الى كتاب المحاماة على جهة العوض مما اراد ثم تنويراً للاذهان فيما كانت الدنيا عليهِ والعهد غير قريب وفيما صارت اليهِ من المساواة والعدالة والحرية والشاهد بين ايدينا. ولعلي لم أَتنقَّص حق المؤلف الفاضل فيما بسطتهُ فان من الجرائم اكبر الجرائم ان تؤْذَى نفوس الاحرار المجتهدين على غير ما داعٍ ولا سبب

ا . . .

باب الصناعة

البنوك والشركات الصناعية

نشرت غرفة التجارة البريطانية بالاسكندرية كرَّاسة ذكرت فيها اسماء البنوك والشركات التجارية والصناعية التي في القطر المصري مثل البنك الاهلي المصري وبنك الانجلو اجبسيان والبنك المصري والبنك العقاري المصري والكريدي ليونه وشركة سكة حديد الدلتا وشركة سكة حديد حلوان وشركة سكة حديد الفيوم وشركة كوك وولدهِ والشركة التوفيقية وشركة الانجلو امركان وشركة ماء القاهرة وشركة ماء الاسكندرية وهلمَّ جرًّا

ووصفت كل شركة من هذه الشركات وذكرت رأس مالها ومقدار اسهمها والارباح التي وزعتها عليها وسعر اسهمها سنة ١٨٩٩ ومما يحق ذكرهُ عبرةً للمعتبر الفرق الفاحش بين اعلى ما بلغتهُ الاسعار في العام الماضي وما بلغتهُ عند كتابة هذه السطور في اوائل اغسطس

	بنس	شلن	جنيه	بنس	شلن	جنيه	اصل القيمة
السندبكات المصري	٣	١٤	١	٦	٢	١	١
اسهم الاسواق المصرية	٦	١٣	١	٩	١	١	١
معامل النسج والغزل	٦	٢	١	٠	١٠	٠	١
شركة الملح والصودا	٣	١	١	٦	١٦		١
سكة حديد الدلتا			١٧		٥	١٠	١٠

ولم تهبط اسهم كل الشركات والبنوك كذلك وبعضها لم يهبط مطلقًا او صعد قليلاً ولكن هذه هي الاسهم التي كثر التحدُّث فيها والاقبال عليها وارتفعت اسعارها عن ثمنها الاصلي ارتفاعًا فاحشًا قبلما ربحت غرشًا واحدًا

الحفر الكهربائي

لا يخفى ما في حفر الصور على الحديد والنحاس من المشقة حتى لقد يقضي الصانع الماهر اياماً واشهرًا على حفر صورة واحدة . وقد استنبط رجل الماني اسمهُ ريدر اسلوبًا جديدًا لحفر الصور بالكهربائية فجاء وافيًا بالمراد

ذلك انهُ اذا غطسنا صفيحتين من الحديد في مذوب كلوريد الامونيوم ووصلنا احداهما بالقطب الايجابي من بطرية كهربائية والاخرى بالقطب السلبي أُكل الحديد من الصفيحة المتصلة بالقطب الايجابي وذاب في الكلوريد فصار منهُ كلوريد الحديد ثم رسب الحديد منهُ على الصفيحة المتصلة بالقطب السلبي . واذا غطينا جانباً من الصفيحة المتصلة بالقطب الايجابي بقليل من صمغ اللك لم يؤكل الحديد من تحتهِ كما يؤكل من بقية الصفيحة فيمكن ان يرسم عليها هلال مثلاً بصمغ اللك وتوضع في السائل فلا تمضي مدة طويلة حتى يصير رسم الهلال عليها ظاهراً بارزاً لان الحديد يكون قد أُكل من كل ما حولهُ

وهذا الاسلوب من الحفر الكهربائي معروف من زمان طويل ولكنهُ كان يستعمل في السطوح المستوية فقط واما اذا اريد ان يرسم في الحديد صورة بارزة او غائرة فيها مرتفعات ومنخفضات كصور الوسامات ونحوها فلا يمكن استعمالهُ . وهنا تظهر فائدة الاسلوب الذي استنبطهُ ريدر وكان اولاً يأتي باناءٍ من الزجاج يضع فيهِ مذوب كلوريد الامونيوم و يغطس فيهِ صفيحة من الحديد (الصلب) يصلها بالقطب السلبي من بطرية كهربائية ولهذا الاناء غطاءٌ في وسطهِ اناءٌ صغير من الزجاج يضع فيهِ قطعةً من الجبس في اعلاها الرسم الذي يطلب نقلهُ الى الحديد وقطعة الجبس تملأُ هذا الاناء الصغير تماماً وهو مثقوب من اسفلهِ فتمتص السائل من الاناء الكبير وتترطب بهِ . وتوضع صفيحة الحديد (الصلب) التي يراد نقش الصورة عليها فوق قطعة الجبس حتى تلمس الرسم الذي عليها وتوصل هذه القطعة بالقطب الايجابي وللحال يبتدئ الحديد يذوب من قطعة الحديد المتصلة بالرسم وينزل الى السائل و يرسب على الصفيحة التي فيهِ . الاَّ ان هذا الفعل الكهربائي يجري نحو ثلث دقيقة ثم ينقطع لان سطح قطعة الحديد الملامس للرسم يكتسي مادة تمنع ايصال الكربائية فلا بد من تنظيفهِ بفرشاة ودهن الرسم بمذوب كلوريد الامونيوم الجديد . وقد صنع المخترع آلة تنظف سطح الحديد من نفسها فصارت الصور والرسوم تحفر بها على اتم المرام

الطبع المنير على الورق

اذب ١٢٥ غراماً من الجلاتين الابيض وغراماً من الغليسرين في ٥٠٠ غرام من الماء في حمَّام مائي واضف الى المذوب ٣٥٠ غراماً من كبريتيد الكلسيوم الفصفوري ممزوجاً بقليل من تحت نيترات البرموث وانت تحركهُ جيداً وادهن الورق دهنتين بهذا المزيج ثم ادهنهُ بفرنيش الكوبال او اللك . فاذا عرض هذا الورق لنور الشمس ثم وضع في الظلام انار بنور فصفوري

الجبسين

الجبسين اسم لنوع جديد من الاجر (الطوب المشوي) يصنع من الجير والرمل والاسبستوس لا يحترق بالنار ولا يوصل حرارتها جربتهُ جمعية منع الحريق في بلاد الانكليز فبنت بهِ جداراً طولهُ عشر اقدام واضرمت النار بجانبهِ حتى بلغت حرارتها ٢٠٥٠ درجة بميزان فارنهيت فبقي الجدار على حالهِ ولم يسخن من الجانب الآخر سخونة تكفي لاشعال عود من عيدان الكبريت

باب الزراعة

القوّة المطلوبة

مضينا بالامس من القاهرة الى بنها وكان الجو صافياً والريح بليلاً فاطللنا من كوة المركبة نستشرف مزارع القطر وقد كُسيت حلة سندسية تطرَّزت بانوار الدر والكهرمان لكننا لم نكد نخرج من العاصمة حتى حسبنا انفسنا في ضواحي مدينة من مدن انكلترا لكثرة المداخن وما فوقها من قتام الدخان منظر لم تعتدهُ افريقية بلاد الراحة والسكينة لكن المزاحمة الشديدة في هذا العصر والخوف من قلّة الماء اضطرَّ الناس ان يكثروا الآلات البخارية لرفع الماء من النيل وترعهِ ويوقدوا فيها الفحم الحجري على غلاء ثمنهِ . وقد ابتاع القطر المصري في الستة لاشهر الاولى من هذه السنة من الفحم الحجري ما ثمنهُ ٥٤٢٩٩١ جنيهاً بحسب تقدير الجمارك حرق اكثرها لتوليد قوة بخارية ترفع الماء لري القطن

حينما يرى الناس ذلك يخطر لهم ان يستعيضوا عن قوة البخار بقوة اخرى . وذلك ليس بالامر العسير اذا كان الماء قريباً والمقدار المطلوب منهُ غير كثير فتستعمل السواقي والطنابير والبدالات والشواديف وما اشبه ولكن اذا كان الماء عميقاً و يطلب منهُ شيءٌ كثير في وقت قليل كما اذا اضطرَّ انسان ان يروي مئتي فدان في خمسة ايام وكانت المناوبة لا تسمح لهُ باكثر من خمسة ايام وقد لا يجد الماء الكافي فيها كلها فلا سبيل لهُ لاروائها الاَّ بآلة بخارية كبيرة ترفع الماء الكافي في تلك الايام . نعم ان الآلة البخارية مهما كانت متقنة لا يستخدم بها اكثر من ١٤ في المئة من القوّة التي كانت في الفحم المحروق فيها ولكن لا توجد واسطة

اخرى حتى الآن لاستخدام كل القوَّة التي في الفحم او لاستخدام اكثر من ١٤ في المئة من قوتهِ

ولو كان ماء النيل متحدِّرًا لسهل عمل آلات تدور بحركة الماء وترفعهُ بدورانها ولكن لو كان تحدُّر ماء النيل اكثر ممَّا هو الآن لعُملت التدابير الكافية لجعل الري كلهِ بالراحة من غير آلات وذلك برفع مآخذ الترَع

اما اذا كان الماء قريبًا او كان المقدار المطلوب منهُ غير كثير كأن يكون المطلوب ارواء بضعة افدنة فالسواقي المتقنة العمل التي لا يضيع فيها كثير من القوة تفي بالمراد لاسيما وان الحيوان الذي يديرها يستخدم لاعمال أُخرى حينما لا يراد ادارتها . قلنا السواقي المتقنة العمل لان اكثر السواقي التي رأيناها ولاسيما الاشكال القديمة منها مصنوعة على اسلوب يضيع فيهِ اكثر القوَّة بالاحتكاك ويرفع الماء بها بالعناء الشديد وينصبُّ جانب كبير منهُ قبل بلوغهِ المجرى الذي يراد صبُّهُ فيهِ فتضيع بهِ قوة أُخرى. ومن الغريب ان بقيت هذه السواقي مستعملة حتى الآن في قطر استنبطت فيهِ اول الآلات المائية وابدعها صنعًا وهي التابوت المعروف او لولب الفيلسوف اخميدس . ولكن اذا جرت الاعمال من غير ان يساعدها العلم قلَّ تقدُّمها او زادت تأخرًا . ولو كان اصحاب الآلات الرافعة يعرفون ما هي القوة وماذا يضيع منها وماذا يستعمل لرأيتهم يتسابقون الى اتقانها واستخدام اقلها نفقةً واكثرها فائدةً

البغال في الزراعة

البغل من انفع الحيوانات واكثرها ربحًا ولا بدَّ منهُ لكل بلاد زراعية كما لا بدَّ منهُ لنقل المهمات وجر المدافع والمركبات في الحرب . وهو متولد بين الحمار والفرس كما لا يخفى لكن التوليد بينهما على غير رضى الفرس فلا تقبل ان يدنو الحمار منها باختيارها ولا يتمُّ تلقيحها منهُ بسهولة لانهُ اذا صحَّ التلقيح ثلاث مرات من كل اربع مرات اذا كان الذكر حصانًا لا يصحُّ الاَّ مرتين اذا كان الذكر حمارًا . ثم ان مدة حمل الفرس حينئذٍ ٣٧٥ يومًا اي انها اطول مما لو لقحت من حصان . وهي معرَّضة للاسقاط اكثر مما لو لقحت من حصان

ولا بدَّ من الاعتناء بانتقاء الفرس في توليد البغال حتى تصلح بها عيوب الحمير فان الحمار يكون كبير الرأس قصير العنق منبسط الخاصرين واطئ الكتفين ضيق الكفل دقيق القوائم والانخاذ والحوافر فتختار الفرس صغيرة الرأس مستديرة الجسم قصيرة الظهر واسعة الكفل كبيرة الانخاذ والقوائم طويلة العنق مستديرة الحوافر. ويحسن ان يكون ارتفاع الحمار ١٣ قبضة الى ١٤ . والبغال ترث شكلها ومزاياها من ابيها وترث حجمها من امها ولكنها لا ترث عيوب

امها اذا كان في خلقتها عيب ولذلك فالافراس التي لا تصلح لانتاج الخيل تصلح لانتاج البغال

وفلو البغل اضعف من فلو الحصان وابطأُ منهُ نموًّا ولا يبلغ اشدَّهُ قبلما يصير عمرهُ اربع سنوات ولكن مدة خدمتهِ اطول كثيرًا من مدة خدمة الحصان فيستخدم ثلاثين سنة او اربعين وهو اذا بلغ اشدَّهُ صار علوهُ من ١٣ قبضة الى ١٥ او ١٦ ويفضَّل ما كان علوهُ بين ١٤ و١٥

ويرث البغل مزاياهُ من ابيهِ كما تقدَّم فان قصر رأْسهِ وضخامتهُ وطول اذنيهِ ودقة قوائمهِ وصغر حوافرهِ وقصر عرفهِ وخلو اعلى ذنبهِ من الشعر الطويل كل ذلك موروث من الحمار. واما علوهُ وشكل عنقهِ وكفلهِ واسنانهِ فمن امهِ. وشحيج البغل (اي صوتهُ) يخالف صهيل الخيل ونهيق الحمير لكنهُ اقرب الى الاول منهُ الى الثاني. ولون البغال مختلف من الاسود الى الرمادي والابيض وقد يكون فيها مسحة من اللون الاشقر. وهي في الصبر والثبات ورسوخ القدم كالحمير وفي القوة والنشاط والهمة كالخيل وتفضل على الخيل لنقل الاثقال وجرها لان جلدها اصلب واقل حساسة من جلد الخيل. وهي ايضًا اشد احتمالاً للحر والبرد من الخيل. واكلها قليل وعلفها سهل وقدمها ثابتة فتسير في اضيق الشعاب واكثرها تحدُّرًا من غير ان تزلق كأَنها المعزى ولذلك تفضَّل على كل حيوانات النقل في البلدان الحارَّة الجافَّة اذا كانت جبلية

وهي اقل من الخيل تعرُّضًا للامراض. فبعد دخول الانكليز الى القطر المصري سنة ١٨٨٢ اصيبت خيلهم بنوع من الحمَّى الملارية واما البغال فلم تصب بها. ولكن الادواء التي تصيب الحمير كالسقاية تصيب البغال ايضًا وتفتك بها سريعًا

وقد كتب بعضهم منذ مدة الى جريدة الزارع الاميركية” انهُ كان يربي البغال والخيل ويطعم افلاء الخيل اجود انواع العلف وافلاء البغال ارداهُ ومع ذلك كانت البغال تكبر وتقوى اكثر من الخيل وتباع بثمن اكثر من ثمن الخيل فخطر لهُ ان يحسب ذلك حسابًا مدققًا فجعل يكتب ثمن العلف في دفتر يوميًّا فوجد ان ثمن العلف الكافي لفلو البغل في السنوات الثلاث الاولى من عمرهِ ستة جنيهات وثمن العلف الكافي لمهر الخيل في السنوات الثلاث الاولى من عمرهِ اثنا عشر ريالاً. وانهُ اذا أُطلقت الخيل والبغال في المراعي القليلة الكلإ فالبغال تعيش جيدًا حيث تموت الخيل من قلة المرعى. وكانت الخيل تعود الى بيتهِ في طلب العلف واما البغال فتبقى في المراعي مهما كانت قليلة العشب وتوغل فيها حتى انهُ لم يكن يهتدي اليها الاَّ بتعليق الاجراس في اعناقها. ثم اذا أَراد بيعها وجد ان متوسط ثمن البغل اكثر من متوسط ثمن الحصان عشرة جنيهات او اكثر. وثبت لهُ بعد طول الاختبار ان البغل

يعمل في حياتهِ مضاعف ما يعملهُ الحصان ونفقاتهُ نصف نفقات الحصان فهو في عملهِ مثل حصانين وفي نفقاتهِ مثل نصف حصان

اما البغال التي ترفس فقد تعلمت ذلك تعلماً وهي صغيرة. واذا اعتني بتربية البغال من صغرها كانت اليفة الى الغاية القصوى . ومعلوم ان البغل جامع لصفات امهِ الفرس من حيث الجرم والشكل والفطنة ولصفات ابيهِ الحمار من حيث القوة والصبر وطول العمر وتحمل المشاق. ويوصف البغل بالعناد وهي الصفة التي تجعلهُ انفع البهائم لجرّ الاثقال لانهُ يبقى يجرُّ ويشد حتى يقع على الارض عياءً

ويُعمِّرُ البغل عمرًا طويلاً وقلما يمرض فيعمل على الدوام من حين يكون عمرهُ ثلاث سنوات الى ان يبلغ اربعين سنة من العمر . وقد عرفت بغال عملت خمسين سنة متوالية ولم تمرض قط ولا طلبت الراحة . وهضم البغال جيد جدًّا وطلبها للطعام غير كثير فتكتفي بالقليل منهُ ولا تسأَل عن نوع العلف فان لم تطعم علفها العادي اكلت مما يقدم لها بل قد تكتفي بتقشير الاشجار واكل لحاها

والبغال لا تسير عدوًا كالخيل ولكنها تمشي بسرعة وتستمرّ عليها اثنتي عشر ساعة متوالية

وجملة القول ان البغال تعمر اكثر من الخيل وهي اصبر منها واقدر على العمل وثمن علفها نصف ثمن علف الخيل "

والبغل معروف من قديم الزمان من عهد بني اسرائيل وعهد اليونان والرومان وهو موجود الآن في كل الاقطار ولاسيما في فرنسا واسبانيا وايطاليا . وبغال اسيا الصغرى وسورية وقبرص ومصر والجزائر موصوفة بجودتها وكذلك بغال البلاد التي بين دجلة وبلاد فارس وشمالي الصين وبلاد البنجاب في الهند واميركا الشمالية ولاسيما ولاية كنتكي وبلاد المكسيك

ولا بد من البغال لكل بلاد زراعية وكان المنتظر ان تكون البغال كثيرة في القطر المصري حتى لا تجلب اليهِ من بلدان أُخرى او حتى تصدر منهُ الى البلدان الاخرى لكن الامر ليس كذلك والبغال المصرية قليلة جدًّا حتى الآن . لما فتح المعرض الزراعي في الربيع الماضي عُرضت فيهِ البغال مع ما عرض من الحيوانات فحازت الجائزة الاولى بغلة مصرية لسعادة مصطفى باشا وهي مدير الدقهلية وبغلة أُخرى شامية لمصلحة التنظيم وهما مرسومتان في الشكلين المقابلين . وقد حكم المستر لتلود الطبيب البيطري المشهور " ان البغلة المصرية تشابه البغلة الشامية ولو كانت دونها في كثير من الامور التي ينظر اليها في تأصيل الحيوانات وانهُ لا بدَّ من زيادة الاهتمام بتوليد البغال وتربيتها في هذا القطر بزيادة حاجة الزراعة اليها "

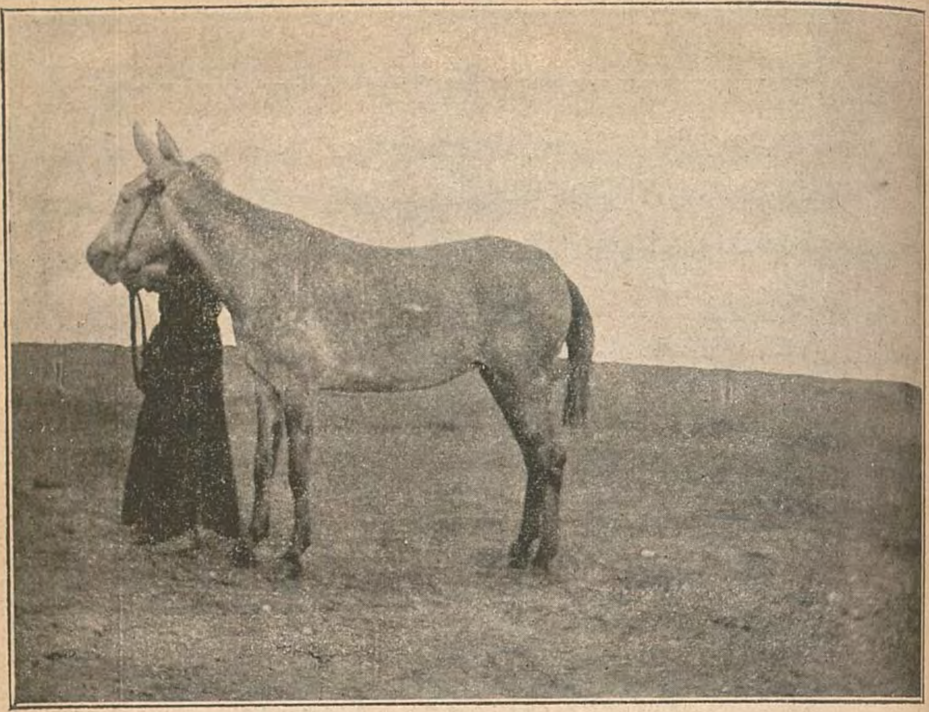

بغلة شامية ملك مصلحة التنظيم (جائزة اولى)

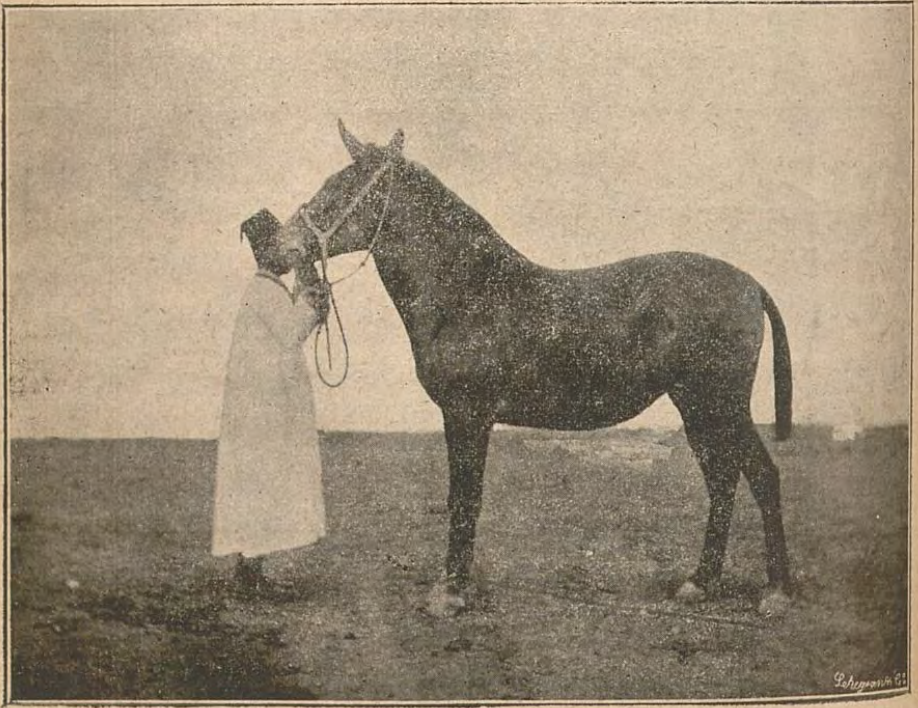

بغلة بلدية ملك سعادة مصطفى باشا وهبي (جائزة اولى)

صادرات ستة اشهر

زادت قيمة الصادرات من القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة عما كانت عليهِ في السنة الماضية ١٩٢٠٠٢١ اي نحو مليونين من الجنيهات . وهاك اهم المواد الزراعية التي صدرت وقيمتها بالجنيهات المصرية

	هذا العام	العام الماضي	الزيادة	النقصان
بيض	٨١ ٠٠٩	٢٩ ٣٦٣	٥١ ٦٤٦	
شعير	٥٠ ٦٨٠	٤٩ ٧٣٤	٩٤٦	
فول	١٣٦ ٢٩٥	٢٨١ ٦٩٠		١٤٥ ٣٩٥
بزرة قطن	٩٢٩ ٠٨٤	٦٣٥ ٥٠٣	٢٩٣ ٥٨١	
بصل	١٥٢ ١٠٤	٢٢٧ ٣٧٤		٧٥ ٢٧٠
سكَّر	٤٨١ ٣٢٣	٦١٦ ٦٦٢		١٣٥ ٣٣٩
قطن	٦٨٤٢ ١٦٥	٤٨٨٨ ٤٣٨	١٩٥٣ ٧٢٧	

ويظهر من ذلك ان الزيادة في ثمن القطن في الستة الاشهر الاولى من هذا العام هي اكثر من مجموع الزيادة في كل صادرات القطر لان بعضها كالفول والبصل والسكر قد نقص كثيراً هذا العام . والظاهر ان تجارة البصل ليست رابحة كما كان يظن

محصول القمح الاميركي

قدِّر القمح الموجود الآن للقطوعية في الولايات المتحدة الاميركية وكندا واوربا والآتي من استراليا وارجنتينا ١٣٩ ١٨٦ ٠٠٠ بشل وكان في العام الماضي ١٤٣ ٥٨٣ ٠٠٠ بشل اما الموسم الجديد فالاميركي منهُ اقل من موسم العام الماضي بمئة مليون بشل . والمحقق الآن ان القمح سيكون في العام المقبل اقل مما كان هذا العام

موسم القطن

وردت الينا تباشير القطن في ٨ اغسطس من زراعة حضرة شريف بك عمر بصهرجت الكبرى بمركز ميت غمر وهي ناعمة الملمس دقيقة الشعر متينتهُ . ويظهر لنا من استقراء البحث ان الذين بكروا في زراعتهم اصاب قطنهم العطش قبل ورود ماء الفيضان فاصابهُ شيء من الضرر بسبب ذلك اما الذين تأَخروا في زرع القطن فاحتمل قطنهم العطش بسهولة وهو صغير

ثم لما كبر كانت مياه الفيضان قد زادت فنما بها جيداً ونموهُ حتى الآن احسن من نمو القطن المبكر ولكن القطن المبكر كاد ينجو من كل الآفات التي يمكن ان تصيبهُ واما القطن المؤَخر فلم يزل معرَّضاً لشيءٍ من الخطر اذا برد الهواءُ كثيراً في هذا الشهر والشهر التالي. ويقال جملة ان الموسم متوسط اذا سلم من الافات الجوية فقد يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون بالة او يزيد عليها

امراض المواشي

كتب المستر لتلود المفتش البيطري في القطر المصري تقريراً عن امراض المواشي في القطر المصري يظهر منهُ انهُ أُصيب بداء السقاوة والسراجة ٤٢ حيواناً فقط في القاهرة والاسكندرية في غضون العام الماضي واصيب ١٠٢ من الخرفان بداء الجدري في مديرية البحيرة في شهري اكتوبر ونوفمبر وهذا الداءُ يفد من بلاد الصحراء الغربية مع القطعان التي ترد منها ولم ينتبه اليهِ في القطر المصري قبل سنة ١٨٩٥ . وقد طعم المستر برافتش الغنم بطعم الجدري البقري فوجدهُ يقيها من الجدري

اما الحمَّى القلاعية فشوهدت اولاً في شهر يوليو من العام الماضي في البقر والجواميس في الوجه البحري وامتدَّت الى الوجه القبلي بواسطة حيوانات اشترتها الدائرة السنية من الوجه البحري . وقد دخل هذا الداءُ القطر المصري بعد جلب المواشي الروسية اليهِ والظاهر انهُ منها. وكانت وطأَة الداء خفيفة ولا نظن انهُ مات بهِ من المواشي عشر ما انضرَّت البلاد باقفال اسواقها بسببهِ او عشر ما انفق على الاطباء لمقاومتهِ ولكن يحتمل انهُ لو لم يتدارك بالهمة لانتشر في البلاد وفتك بمواشيها

وقد ظهر طاعون المواشي في السودان اتاها من مواشٍ أُتي بها من الجدين التابعة لايطاليا وأُتي بالمصل لتلقيح المواشي بهِ من بلاد الراس فأَفاد كثيراً وكانت الاصابات بهِ كما يأْتي

السودان الشرقي	يناير	٥٦٦
	فبراير	١٣٠
	مارس	٠٥٠
	ابريل	٢٧
الاتبرة	ابريل	١٩
بربر	مايو	١٠
كسلا	سبتمبر	٤٨
المجموع		٨٥٠

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الانجيل بلغة البرابرة

سادتي الافاضل اصحاب المقتطف

عثرت على نسخة من انجيل "مرقص" مكتوبة بالخط العربي بلغة البرابرة العامة سكان الاقاليم التي بين كرسكو ودنقله اي بطن الحجر وسكوت ومحص. وهي تشبه جزءا من القرآن اي انها مطبوعة على حدة على ورق نباتي. وقد بلغني ان الذين طبعوها من جمعية انكليزية دينية وما قصدوا بطبعها الاَّ نشر الدين المسيحي فارجو ان تفيدوني عن هذه الجمعية وتاريخها وبكم لغة طبعت الانجيل حتى الآن لكي اذكر ذلك في كتابي الذي عزمتُ على طبعهِ قريباً ولكم الفضل. ثم ارجو من فضلكم ان تخبروني ما هو السبب الحقيقي لان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي واما علماؤُنا فلا يهتمون الاَّ بمثل صرف عمر وتحقيق معاني بعض الابيات الشعرية

مصر محمد عمر

[المقتطف] لا نعلم اية جمعية طبعت انجيل مرقص بلغة البرابرة ولكننا نرجح انها جمعية نشر التوراة البريطانية والاجنبية "British and Foreign Bible Society" فاذا كان الامر كذلك فهذه الجمعية انشئت سنة ١٨٠٤ وغرضها نشر التوراة والانجيل وقد وزعت حتى سنة ١٨٩٩ مئة وستين مليون نسخة بثلثمئة واربع وستين لغة ونفقاتها السنوية الآن نحو ٢٣٠ الف جنيه تجمعها من اهل المبرَّات. ثم ان علماء الدين المسيحي يتجادلون ويتناقشون في امور لا طائل تحتها مثل غيرهم واذا اراد الله بقوم شرًّا اعطاهم الجَدَل ومنعهم العمل. واهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين. وعندنا انهُ لو اهتمت الجمعيات الدينية المسيحية بنشر الانجيل في اللغة الانكليزية وعلَّمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير ان يترجموهُ

لكان نجاحهم اتم لكنهم جروا على ضد ذلك وقد رأَينا المرسلين الاميركيين في سورية يمنعون تلامذتهم من تعلم اللغة الانكليزية بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٥ ونظن انهم يفعلون ذلك في اكثر البلدان التي يمضون اليها فيتعلمون لغة اهلها ويترجمون الكتاب المقدس اليها وهم لو علموهم اللغة الانكليزية لقرأُوا الكتاب المقدَّس بها واستفادوا من معرفتها اضعاف ما يمكن ان يفيدهم بهِ المرسلون بلغتهم

نسيم بشور

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف المحترمين

بملء الاسف والحزن انقل اليكما خبر وفاة الوجيه الفاضل المرحوم نسيم افندي بشور احد اعيان هذه البلاد ورئيس الطائفة المسيحية فيها عزيز قومهِ ووجيه بلادهِ نصير الفضل وخادم الانسانية. ما تأَسَّت الافئدة بهِ بعد وفاة المرحوم والدهِ خادماً للوطن وحليفاً للانسانية يُشدُّ بهِ الأزر ويُشفى بهِ الغليل. لكن وأسفاه شاطرتنا الأَيام شخصهُ ونازعتنا المنون شبابهُ واخذتهُ منّاً كهلاً فيهِ حكمة الشيوخ وقوَّة الشبان وطاعة الفتيان ملآن معرفةً وحكمةً ومحبةً وحنوًّا وشفقةً ورفقاً

ذا غصنُ فضلٍ زهت اثمارهُ ونمت   قبلَ اكتهالٍ فزادَ الحملُ فانقصفا

فحلت هذه المصيبة حلولاً ثقيلاً بقلوب لا طاقة لها على احتمالها

توفي الفقيد الكريم أَصيل يوم الجمعة في ١٣ تموز (يوليو) ولهُ من العمر ٤٦ عاماً قضى أُخرها في خدمة الوطن ولم ينتشر خبر نعيهِ في هذه الجهات الاَّ وتقاطر وجوه البلاد على اختلاف الطوائف والمشارب لمشاطرة اسرتهِ الكريمة الاسى والاحزان والجميع يندبون وطنياً عزيزاً ووجيهاً غيوراً ولسان حالهم يقول

نعاهُ لنا الناعي ففي كلّ مدمعٍ   دموعٌ ولكن في الاضالع أَسهمُ

وقبل غياب شمس يوم السبت حُمل ذاك الجسم اللطيف على الاكف وواروهُ التراب على رجاء القيامة والخلود وقام بصلاة الجنازة غبطة المطران نيقوديمس رئيس كهنة الملة الارثوذكسية في عكار وما يليها وعدد كبير من الكهنة وأَبَّنهُ الشعراءِ والادباءِ وعدَّدوا ما لهُ ولابيهِ من الصفات الحميدة والفعال الكريمة فكان المشهد مؤثرًا والمأْتم محزنًا وما كنت ترى الاَّ عيناً تدمع وقلباً يصدع

نسأَلهُ تعالى ان يعزي قلوب عائلتهِ الكريمة ويتغمد الفقيد برحمتهِ ورضوانهِ

برج صافينا   سليمان الحلو

الدقائق العربيَّة

اطلعت على ما كتبهُ الاستاذ الشرتوني في الدقائق العربية وكنت كلما قرأْت دقيقةً منها ورأَيت شواهدها اقول في نفسي ترى هل يجوز ان نأْخذ مآخذ بعض الكتّاب النابغين من المحدثين ونحذو حذوهم في ما خالفوا بهِ المتقدمين. وان كان ذلك غير جائز ما دام الكاتب منهم في قيد الحياة ولا اذا مرَّ عليهِ قرن او قرنان فكم هي السنون الشرعية التي يجب ان تمرَّ حتى يصير قول الكاتب حجَّة يؤْخذ بها كقول الاشموني مثلاً في “عوض عن حرف” اوحتى يصير كلام من كان مثل الجبرتي حجة مثل كلام ابن الاثير من حيث اللغة. واني اطرح هذا السؤَال على حضرة الاستاذ الشرتوني ومَن حذا حذوهُ من علماء اللغة عسى ان يتوسَّعوا فيهِ ويدلونا على الحد الذي نقف عندهُ الآن في الاعتماد على الكتَّاب الاقدمين ويضعوا لنا قاعدة نعرف بها مقدار السنين التي يرجع فيها في المستقبل الى ما مضى من هذا القبيل فنعلم منها عدد السنين التي يجب ان تمر حتى يصير استعمال الكتّاب في عصرنا هذا قاعدةً يُجرى عليها

مصر مستفيد

مدينة الخنساء

حضرات منشئي المقتطف الاغر

قرأْت ما كتبهُ الكاتب المحقق الامير شكيب ارسلان عن الصين في الجزءِ الاخير من المقتطف الى ان وصلت الى استشهادهِ بابن بطوطة فاستغربت تصديقهُ لما يكتبهُ ابن بطوطة في هذا الشأْن وكلامهُ في رحلتهِ مضطرب اشد الاضطراب لا يستدلُّ منهُ على انهُ كان يفرق الصين الاصلية عن غيرها من بلدان الهند الشرقية نعم انهُ سمَّى مدينة الصين الكبرى بالخنساء وهو قريب من الاسم الذي سماها بهِ ماركو بولو “كنساي” ومن الاسم الصيني كنغ ساي اي العاصمة وهو الاسم او اللقب الذي يُطلق على بكين الآن ولكن ذلك وانطباق بعض وصفهِ على احوال اهل الصين لا يدل على انهُ دخل تلك البلاد بنفسهِ بل نقل ما نقل عن غيرهِ وذلك اسلم لسمعتهِ من ارتكابهِ ما ارتكبهُ في القصص التي اوردها كقصَّة المشعوذ الذي طار في الهواءِ هو وغلامهُ وقطّع الغلام ورماهُ الى الارض قطعاً “ثم هبط وهو ينفخ وثيابهُ ملطخة بالدم فقبّل الارض بين يدي الامير وكلمهُ بالصيني ثم اخذ اعضاء الصبي فالصق بعضها ببعض ورفسهُ برجلهِ فقام سويًّا” وقد استدرك ابن بطوطة بما اخبرهُ بهِ القاضي من ان ماراٰهُ شعوذة ولكن ذلك لا ينفي ادعاءهُ رؤْية امور ترجح انهُ سمع بها ولم يرَها

مصر امين احمد

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البنات والعلوم العالية

مما يطيب نشرهُ ان خمساً من البنات جزن امتحان الشهادة الابتدائية في نظارة المعارف وكانت درجاتهنَّ عالية بين الشبان الذين نالوا هذه الشهادة فان كل الذين نالوا الشهادة ٧١٢ والبنات اللواتي نلن الشهادة درجة الاولى منهنَّ ١٧ وهي من قسم البنات في مدرسة عباس والثانية درجتها ٢٦٦ وهي من مدرسة عباس ايضاً والثالثة درجتها ٣٧٣ وهي من مدرسة عباس والرابعة درجتها ٤١٢ من المدرسة السنية والخامسة درجتها ٦٤٥ من المدرسة السنية ايضاً. فمتوسط درجاتهنَّ ٣٤٢ اي اعلى من متوسط درجات الفتيان الذين نالوا الشهادة معهنَّ . وهذه بداءة حسنة . ونحن نعلم عن ثقة ان كثيرات ينلن من المدارس الاميركية والفرنسوية والايطالية وغيرها شهادات لا تقل عن شهادة نظارة المعارف بل قد تزيد عليها من بعض الوجوه وسمعنا بعضهنَّ يجبن عن مسائل عويصة في الصرف والنحو والبيان والحساب والطبيعة والهيجين والفزيولوجيا والنبات اجوبة صحيحة صريحة تدلُّ على انهنَّ درسنَ مبادئ هذه العلوم وبرعنَ فيها. لكن عدد البنات اللواتي درسنَ هذا الدرس قليل جداً فخمس بنات وعشر بنات ومئة بنت والف بنت لا يُحسب شيئاً في بلاد فيها خمسة ملايين من الاناث وعليهنَّ المعوَّل في تعليم الاطفال لانهُ لا يشيع التعليم في هذا القطر ما لم يتولَّ النساءُ تعليم الاطفال في البيت وفي المدرسة ايضاً

ثم انهُ ليس في القطر المصري حتى الآن مدرسة عالية يتعلم فيها البنات علم التعليم والعلوم اللازمة لهُ حتى يستطعنَ ادارة المدارس وتعليم البنات وتهذيبهنَّ . ويظهر لنا ان الحكومة والامَّة مغضيتان عن ذلك او لا تستطيعانهِ لان المعلمة لا تفلح في تعليم غيرها ما لم تنقطع لهذا العمل اي تكون مثل الراهبات اللواتي لا همَّ لهنَّ الاَّ التعليم . فاذا بقيت حالة المرأة في الشرق على ما هي عليهِ الآن فالامل بانتشار التعليم فيهِ ضعيف جداً

شراب الليمون

ضع رطلاً من السكر في اناءٍ مدهون بالخزف وصبَّ عليهِ رطلاً من الماء واغلهِ على النار قدر عشر دقائق ثم صبهُ في اناءٍ آخر ودعهُ حتى يبرد وصفهِ واضف اليهِ عصير اربع ليمونات كبيرة من الليمون الحامض وعشرين نقطة من روح الليمون وحرّك السائل جيدًا وصبهُ في قناني ناشفة وسدها سدًّا محكمًا وضعها في مكان بارد . ملعقة من هذا الشراب في كاس من الماء البارد شراب منعش مبرد للدم

فساد الاطعمة

تضطر ربة البيت احيانًا كثيرة ان تبقي جانبًا من اللحم من يوم الى آخر فاذا كان الفصل باردًا فالغالب انها تجدهُ سليمًا ولكن اذا كان الفصل حارًّا فالغالب انها تجدهُ قد فسد واذا طبختهُ فقلما يسلم من يأكلهُ من الضرر. فلماذا يسلم اللحم في الفصل البارد وينتن في الفصل الحار. يظن لاول وهلة ان الحر نفسهُ يفسدهُ لكن ذلك غير صحيح كما يظهر باقل نظر فان اللحم يشوى على النار ولا يفسد ويطرح في الصحراء المحرقة فيجف وييبس ولا يفسد ايضًا فليس الحر سبب فسادهِ وكذلك قد يفسد اللحم ولو كان الفصل باردًا فما هو اذًا سبب الفساد

خذ اللحم الجديد وضعهُ في اناءٍ من الصفيح والحمهُ حالاً بعد ان تسخنهُ واتركهُ يومًا او يومين وشهرًا بل شهرين فلا يفسد ثم افتح الاناء وعرضهُ للهواء يومًا او يومين فالغالب انهُ يفسد. ويظهر من ذلك كأن الفساد اتاهُ من الهواء ولكن اذا فتحت الاناء وسددتهُ بقطعة من القطن النقي التي لا تمنع دخول الهواء اليهِ فانهُ لا يفسد فالفساد ليس من الهواء نفسهِ بل هو من شيءٍ في الهواء علق بين الياف القطن . وهذا هو الصحيح . وكما يفسد اللحم من شيءٍ في الهواء يفسد من اتصال لحم فاسد بهِ وسبب الفساد في الحالين واحد وهو ميكروب الفساد فان هذا الميكروب يكون في الهواء عادة ويلصق بجوانب الآنية والاقفاص التي يوضع اللحم فيها ولاسيما اذا لصق بها قليل من اللحم فاذا كان الفصل باردًا جدًّا تأخر نموهُ كثيرًا لان الحرارة المعتدلة لازمة لنموهِ مقوية لهُ واما البرد الشديد فيوقف نموهُ او يمنعهُ ولهذا ينقل اللحم الآن من استراليا او من اميركا الى بلاد الانكليز من غير ان يفسد لانهم يضعونهُ في غرف مبرَّدة جدًّا حتى يصير ما فيها كالثلج او ابرد فلا تعيش فيها الميكروبات ويبقى اللحم سليمًا منها

ولا تستطيع ربة البيت ان تبرد هواء بيتها الى درجة تمنع فساد اللحم ولا تستطيع ايضًا ان تمنع الهواء عن اللحم ولكنها تستطيع منع الفساد من جهة أُخرى وهي نظافة الاقفاص

والآنية التي يوضع فيها اللحم فانها اذا كانت نظيفة جدًّا خالية من كل آثار اللحم المنتن بقي اللحم فيها يومًا او يومين من غير ان ينتن ولو كان الفصل حارًّا واما اذا كان فيها اثر من اللحم الفاسد اتصل ميكروب الفساد منهُ الى اللحم الذي يوضع فيها وافسدهُ حالاً

السمك القديم

جرت عادة الذين يشترون السمك ان يجسُّوهُ بايديهم فاذا وجدوهُ صلبًا حسبوهُ جديدًا واشتروهُ واذا وجدوهُ لينًا حسبوهُ قديمًا ورفضوهُ . وهذا الحكم صحيح وسببهُ ان السمك الذي يبتدئ فيهِ الفساد تنحلُّ بعض اليافهِ لان ميكروبات الفساد تأكلها وتهضمها فتلين واما السمك الجديد الذي لم يحلَّ فيهِ الفساد فتكون اليافهُ لم تزل على حالها الطبيعي من المتانة والصلابة . والسمك الذي حلَّ فيهِ الفساد يسودُّ لحمهُ تحت سلسلة ظهرهِ مما يلي بطنهُ و يصير لحمهُ سريع التفتُّت اذا قلي او شوي وقلما يخلو اكلهُ من الضرر ولا سيما اذا اكلهُ من لم يعتَدْ اكل السمك الفاسد فلا يجوز ان يؤكل مهما كانت الحال لان ضررهُ مرجح ولو لم يكن مؤكدًا. وقد يظن أن قليهُ يزيل الضرر منهُ لانهُ يقتل الميكروبات وذلك صحيح من حيث قتل الميكروبات ولكن ضرر السمك الفاسد واللحم الفاسد ليس من الميكروبات نفسها وان كانت هي سبب الضرر بل من بعض المواد الكيماوية السامّة التي تولدها هذه الميكروبات في اللحم والسمك . فهذه المواد الكيماوية قد تحلها الحرارة وتبطل ضررها وقد لا تحلها ولا تبطل ضررها بدليل ان اللحم المنتن يبقى منتنًا مهما طبختهُ . ولو كانت حرارة الطبخ تغير تركيب المادة الكيماوية المنتنة لازالت نتانتها اما اذا كانت الحرارة اشد من حرارة الطبخ كما اذا استقطرت المواد الفاسدة استقطارًا جافًّا فالغالب ان المواد السامّة التي فيها تنحل وتخرج منها مواد اخرى غير سامة

الزكام في الصيف

اذا اعتنى الانسان بنفسهِ في فصل الصيف في بلاد مثل القطر المصري استحال ان يصاب بالزكام . ونريد بهذا الاعتناء ان لا يعرق ويتعرَّض لمجاري الهواء وهو عرقان حتى يبرد سطح جسمهِ فيندفع دمهُ الى الاوعية الباطنة ويحتقن في الاغشية المخاطية . فاذا انتبه حتى لا يجلس في مجاري الهواء وهو عرقان او اذا خلع قميصهُ حالما يصل الى بيتهِ وابدلهُ بقميص جاف أَمن الزكام كلَّ فصل الصيف . و يسهل عليهِ ان يأْمن الزكام السنة كلها اذا اهتمَّ حتى لا يبرد سطح جسمهِ بغتةً ويبقى باردًا مدة طويلة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائر بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اول نظم الاشعار

امبابه. اسكندر افندي نبيه. مَن ابتدع نظم الاشعار باللغة الافرنسية وكذا بالانكليزية

ج يستحيل ان يعرف احد مَن اول مَن قال الشعر في لغة من اللغات كما يستحيل ان يُعرف من اول مَن نطق بها اذ الكلام الموزون الذي يُطلَق عليهِ اسم الشعر نطق بهِ الناس في البداوة او قبل ان وُجدت عندهم الكتابة وتدوين الاخبار. وكل قول يعبر بهِ الانسان عن عواطفهِ بعبارات معقولة موزونة هو شعر سواءٌ قالتهُ نادبة تندب ابنها او عشيقة تشكو فراق الفها او مملّك يتغنّى بفضائل مليكهِ. وهذا الشعر يقال ارتجالاً فلا ينتظر ان يحفظ دائماً ولذلك فالقول بان فلاناً اول مَن قال الشعر في اللغة الفلانية دعوى لا دليل عليها

(٢) ملك مصر في عصر ابرهيم

ومنهُ. من كان ملك مصر لما دخلها ابرهيم الخليل

ج لا يعلم ذلك لان تواريخ الملوك المصريين غير محققة وكذلك تواريخ التوراة والفرق بين العلماء الباحثين في التواريخ المصرية يصل احياناً الى اكثر من الف سنة

---

(٣) الانتي اثيلين

سنورس. عزيز افندي وهبي. قرأْت في بعض المجلات المصرية ان الاطباء سابيليه وتبولت وبروكا من اطباء فرنسا اخترعوا مصلاً مصنوعاً من مادة مجهولة سماها الدكتور مشنيكوف "ستيموليني" اذا حقن بهِ السكير تحت الجلد احدث فيهِ نفوراً من المسكرات واضعف ميلهُ اليها وقد جرَّبوهُ فوجدوهُ صحيح الفعل فهل يوجد مصل آخر يحدث نفوراً من الدخان للمدخنين

ج لم يثبت ما قيل عن هذا المصل حتى الآن ثبوتاً علمياً اذ يرجح قوم ان فعلهُ وهمي اي ان الذي يعالج بهِ يتوهم انهُ لم يعد يستطيع شرب المسكرات. وقد قال الدكتور سابيليه انهُ عالج بهِ ٥٧ سكيراً فنجح في ٣٢

منهم وافاد قليلاً في ٨ ولم يفد شيئاً في الباقين وهذا يدلُّ على ان منهُ نفعاً ولو كان وهمياً. ولم نقرأ حتى الآن انهُ وجد مصل يحدث نفوراً من الدخان ولكننا قرأنا انهُ تصنع سجاير من ورق البن فتمنع ضرر التبغ . والانسان يستعمل لقاح الجدري ومصل الدفتيريا ونحو ذلك من مضادات الامراض لا لكي يعرض نفسهُ لها فيبقى سليماً بل لانهُ تعرَّض لها خطأً او يخشى ان يتعرَّض لها خطأً فيداويها او يتقي شرها واما التدخين فدواؤُهُ معلوم اذا اضرَّ بصاحبهِ وهو ابطالهُ او تقليلهُ فيزول ضررهُ او يقل . هذا هو المصل الشافي او الواقي

(٤) البن في السودان

مصر . حسين افندي فهمي . هل تصلح اراضي السودان لزرع البن وما كيفية زراعتهِ اذا كانت تصلح لذلك

ج يظهر لنا ان البن لا يجود كثيراً فيها لشدَّة حرارتها وتعرُّضها للرياح . اما كيفية زرع البن فقد كتبنا فيها مقالة مسهبة في الجزء العاشر من المجلد السابع عشر فراجعوها فيهِ

(٥) مساحة الصين

مصر . امين افندي يوسف . نرجو ان تذكروا لنا كم مساحة بلاد الصين وكم عدد سكانها

ج ترون ذلك في هذا الجدول

الاسم	المساحة	السكان
الصين الاصلية	١٣٣٦٨٤١	٣٨٦٠٠٠٠٠٠
منشوريا	٠٣٦٢٣١٠	٠٠٧٥٠٠٠٠٠
مغوليا	١٢٨٨٠٠٠	٠٠٢٠٠٠٠٠٠
تبت	٠٦٥١٥٠٠	٠٠٦٠٠٠٠٠٠
جنغاريا	٠١٤٧٩٥٠	٠٠٠٦٠٠٠٠٠
تركستان الشرقية	٠٤٣١٨٠٠	٠٠٠٥٨٠٠٠٠
والجملة	٤٢١٨٤٠١	٤٠٢٦٨٠٠٠٠

هذا حسب احدث التقادير اي حسب قول الحكومة الصينية سنة ١٨٧٩ وسنة ١٨٨٢ . وقد قيل في التقادير الصينية الرسمية سنة ١٨٤٢ ان اهالي ١٨ ولاية من ولايات الصين الاصلية وفرموسا كانوا حينئذٍ ٤١٣ مليون نفس . لكن مزاعم الصينيين كثيرة والمظنون ان سكان الصين لا يزيدون على ٣٥٠ مليون نفس

(٦) ما اخذ من الصين

ومنهُ . ما هي التغييرات الحديثة التي حدثت في بلاد الصين علي اثر حربها مع اليابان والتي يظن انها كانت من الاسباب التي هاجت الصينيين ضد الاجانب

ج اهم هذه التغيرات امتلاك الاوربيين للمرافئ الصينية وتضييق خناق الصينيين وذلك ان اليابان اخذت جزيرة فرموسا مع نفقات الحرب واستلمتها في ٢ يونيو سنة ١٨٩٥

وفي نوفمبر سنة ١٨٩٧ اخذت المانيا مرفأ كياو شو اجرة توسطها في الصلح بين الصين واليابان. وفي شهر يناير من السنة التالية استأجرت من الصين المدينة التي هناك وضواحيها لمدة ٩٩ سنة. وفي ٢٧ مارس من تلك السنة استأجرت روسيا بورت ارثر وتالينْوان والبلاد المجاورة لهما والانهر المتصلة بهما لمدة ٢٥ سنة يجوز اطالتها باتفاق الفريقين ويحق لروسيا ان تبني الحصون والمعاقل والثكنات في البلاد التي استأجرتها ويكون لها وحدها السلطة الحربية عليها برًّا و بحرًا. ولما رأَت انكلترا ما فعلتهُ روسيا اتفقت مع الصين في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨ على اخذ واي هاي واي ثم استأجرت في السنة التالية البلاد المجاورة لجزيرة هونغ كونغ لمدة ٩٩ سنة. واستأْجرت منها فرنسا ايضاً خليج كوانغ شو وانغ امام جزيرة هينان في ابريل سنة ١٨٩٨ واخذت في السنة التالية الجزيرتين اللتين عند مدخل هذا الخليج

(٧) عدد الاجانب في الصين

ومنهُ. كم عدد الاجانب في بلاد الصين

ج كان عدد الساكنين منهم في المدن التي يجوز سكنهم فيها ١٣٤٢١ سنة ١٨٩٨ وهم ٥١٤٨ من الانكليز و ٢٠٥٦ من الاميركان و ١٦٩٤ من اليابانيين و ١٠٤٣ من الالمانيين و ١٠٨٢ من البرتغاليين و ٩٢٠ من الفرنسويين و ٣٩٥ من الاسبانيين و ٢٠٠ من الاسوجيين والنروجيين. ونحو نصف هؤُلاء كلهم في شنغاي

(٨) جنود الصين

ومنهُ. كم عدد جنود الصين

ج ان جنود الصين هي. (١) الثمانية الالوية وعددها ٣٠٠٠٠٠ واكثرهم من اهالي منشو الذين فتحوا بلاد الصين وملكوها لكن الجيش العامل منهم لا يزيد على مئة الف نفس و (٢) الجيش الوطني او الاعلام الخضراء والمعسكرات الخمس وعددهُ من ٥٤٠ الفًا الى ٦٦٠ الفًا والجيش العامل منها نحو مئتي الف (٣) جيش الرديف والباش بزق وعددهُ نحو مئتي الف

ومجموع الجيش الصيني وقت السلم نحو ٣٠٠ الف ووقت الحرب نحو مليون

(٩) تجارة روسيا مع الصين

ومنهُ. ما هي نسبة تجارة روسيا مع الصين الى غيرها من الممالك الاوربية

ج ترون ذلك في هذا الجدول وهو محسوب بالريال الصيني الذي يساوي اربعة عشر غرشًا مصريًّا

روسيا	٠١٩ ٥٥٢ ٢٩٥
الولايات المتحدة	٠٢٩ ١٥٠ ٠٨٣
اليابان	٠٤٣ ٤٦٨ ٨٤١
انكلترا ومستعمراتها	٢٢٥ ٤٣٥ ٦٢٦
بقية اوربا	٠٣٥ ٣٢٦ ٩٠٦

اي ان ثلثي تجارة الصين بيد انكلترا وثلثها بيد بقية دول الارض واقلها مع روسيا

باب الاخبار العلمية

نجم جديد

اكتشفت مدام سراسكي زوجة الاستاذ سراسكي الروسي نجماً جديداً متغيراً يختلف اشراقهُ بين القدر الثامن والثاني عشر . وقد كان نورهُ آخذاً في الازدياد في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٦ واخذ في النقصان في اكتوبر سنة ١٨٩٧ وبلغ اقلهُ في مايو سنة ١٨٩٨ وفي ابريل سنة ١٨٩٩ واول مايو ١٩٠٠ كما ظهر لها من صورهِ في الصور الفوتوغراف الفلكية

نجم آخر جديد

قال الاستاذ بكرنج ان زوجة الاستاذ فلمنغ اكتشفت نجماً جديداً من البحث في صور درابر الفوتوغرافية في كوكبة النسر الطائر وقد ظهر في الصورة التي صُوِرت في ٢١ ابريل و٢٧ اكتوبر سنة ١٨٩٩ وكان في ابريل من القدر السابع وفي اكتوبر من العاشر وظهر في صورتين صُوّرتا في ٦ يوليو و٩ يوليو سنة ١٩٠٠ . ورآهُ المستر وندل في ٩ يوليو سنة ١٩٠٠ بتلسكوب قطرهُ ١٥ عقدة وحسب انهُ من القدر الثاني عشر

الطب الروحاني

يقال ان في مدارس الطب الروحاني باميركا من التلامذة اكثر مما في مدارس الطب القانوني . واطباء الطب الروحاني يعالجون المرضى بالصلاة او بالتدجيل على صور شتَّى فيشفون كل الامراض التي تشفى من نفسها من غير علاج واما الامراض التي لا تشفى من غير علاج فتسير سيرها الى ان تقتل اصحابها . وبالامس اصيب نحو عشرين ولداً بالدفثيريا في شارع اهلهُ يعتقدون بالطب الروحاني اسمهُ سوق صهيون فمنعوا ضباط الصحة من الدخول اليهم فوضع هؤلاء حولهم نطاقاً صحياً فمات اكثرهم مع ان الذين يعالجون الآن بالمصل المضاد للدفثيريا يشفى اكثرهم. ومتى اختلط الجهل بالدعوى والحمق والتعصُّب الديني نتج من خليطها نوع من الجنون المستعصي لا اشد منهُ ضرراً بنوع الانسان

الجذام في كريت

قرَّر زمباكو باشا مرةً ان في جزيرة كريت اربعة آلاف مجذوم . وقد عين البرنس جورج والي كريت اثنين من مشاهير الاطباء ليبحثا عن المجذومين فيها فوجدا ان عددهم لا يزيد على ثمانمئة وقد لا يكون اكثر من ستمئة ولكن الجذام على ازدياد في الجزيرة

فامر البرنس جورج باتخاذ الوسائل الكافية لفرز المجذومين عن غيرهم حتى يمتنع انتشار هذا الداء الخبيث

المجاعة في الهند

بلغ عدد المصابين بالمجاعة في الهند الذين تصل اليهم المساعدة من الاموال التي تصدَّق بها الاوربيون والاميركيون خمسة ملايين وسبع مئة الف نفس وقد فتكت الامراض والاوبئة بالجياع فتكاً ذريعاً. وكانت الاوبئة تنتاب بلاد الهند في الازمنة الغابرة وتفتك بالملايين من سكانها فلا يزيد عددهم عن مقدار الطعام الذي يستخرج من بلادهم عادةً اما الآن فصارت عناية الحكومة الانكليزية تقلل فتك المجاعات وتضعف هذا العلاج الذي تعالج بهِ الطبيعة كثرة السكان فصار لا بد من ان تتوالى المجاعات و يزيد فتكها

علاج السل بالهواء

اتضح من احصاء المستشفيات التي يعالج فيها المسلولون بالهواء النقي والغذاء في برلين وضواحيها ان المسلولين الذين عولجوا واقاموا في المستشفى اكثر من ١٤ يوماً كانوا ٥٥٨١ وهم يقسمون الى فريقين فريق وُجد فيهِ ميكروب السل وفريق لم يوجد فيهِ فالفريق الاول عددهُ ٢٥١٩ نفساً و١٠٤٧ من هؤلاء تحسنت صحتهم جداً . و١١٧١ تحسنت صحتهم ايضاً و٢٥٩ لم يظهر فيهم تحسن او ساءت حالهم و٦ ماتوا . والفريق الثاني عددهُ ١٢٤٥ نفساً و٨٧٦ منهم تحسنت صحتهم جداً ولم يبقَ اثر ظاهر للمرض في رئاتهم و٣٥٩ بقيت الاعراض فيهم ولكنهم استطاعوا ان يعودوا الى اعمالهم و٤٠ لم تتحسن حالهم وكان فيهم مضاعفات اخرى . وبلغ متوسط ما زادهُ ثقل كل منهم اربعة كيلو غرامات و٨٠٠ غرام

عبدة العرش

ظهر من البحث في التحف التي وجدت في خرائب مسيني ووصفناها في المجلد الاول من المقتطف ان الناس كانوا يعبدون عرش الله حينئذٍ وهذا يفسّر وجود الكراسي او العروش الصغيرة بين خرائب الاولين . والظاهر ان زركسيس كان يأخذ معهُ عرشاً من هذه العروش في غزواتهِ حاسباً ان روح الله يجلس عليهِ

المدافع الطويلة

يصنع الانكليز الآن مدافع للدفاع طول المدفع منها اربعون قدماً وقطر فمهِ ثلاثة ارباع القدم ومداهُ ١٢ ميلاً وستوضع ستة من هذه المدافع في حصون مدينة دوفر امام سواحل فرنسا

اموال الالمان

يظهر من تقارير قناصل المانيا ان للالمانيين اموالاً ومتاجر في اقطار المسكونة

تبلغ قيمتها ألفاً ومئتين وخمسين مليوناً من الجنيهات فلهم في بلاد المكسيك خمسون مليوناً وفي اميركا المتوسطة ٦٣ مليوناً وفي جزائر الهند الغربية ٦٣ مليوناً ايضاً وفي فنزويلا ٥٠ مليوناً وفي شيلي ٦٨ الى ٧٥ مليوناً وفي جمهورية ارجنتين ١٥٠ مليوناً وفي برازيل ١٥٠ مليوناً. هذا عدا ما لهم من الاموال والمتاجر في اوربا نفسها

كهربائية الجو

ابان بعض علماء الانكليز الآن ان نور الشمس ولاسيما الاشعة التي فوق البنفسجي تولّد في الهواء نقطاً مكهربة سلباً ونقطاً مكهربة ايجاباً على مبدإ الحل الكهربائي فاذا كثر البخار في الهواء اجتمعت دقائقهُ حول النقط المكهربة سلباً فثقلت ونزلت مطراً فتبقى النقط المكهربة ايجاباً في الجو وتزول بها موازنة كهربائية الهواء فتحدث كل الحوادث الكهربائية الناتجة من فقد الموازنة الكهربائية

اعمى واخرس واطرش

في مدينة نيويورك ولد اعمى واخرس واطرش اعتُني بتعليمهِ فصار يتكلم بالنطق وبالاشارات ويفهم كلام غيرهِ باللمس ويقرأ باللمس ايضاً وتعلم التاريخ والجغرافيا والحساب والنجارة وعمل الكراسي. ولا ندري لماذا يُبذَل هذا المقدار من الاعتناء على ولد واحد وهو لو بذل في تعليم مئة ولد من المبصرين الناطقين السامعين الذين يُترَكون الآن في حمأة الجهل لكفى لتعليمهم وتهذيبهم وصيرورتهم من نخبة الناس

فتك داء السل

توفي ٤٦٩٨٨ نفساً في مدينة باريس سنة ١٨٩٩ وقد ثبت ان ١٢٣١٤ منهم توفوا بداء السل اي اكثر من ربعهم. والذين ماتوا بين سن سنة و ٢٠ سنة مات منهم بالسل ٣٧ في المئة. والذين ماتوا بين سن ٢٠ و ٤٠ مات منهم بالسل ستون في المئة. والذين ماتوا بين سن ٤٠ و ٦٠ مات منهم بالسل ثلاثون في المئة والذين ماتوا من سن الستين فصاعداً مات منهم بالسل ثلاثة في المئة فقط. فاكثر فتك السل بين السنة العشرين والاربعين وفتكهُ حينئذٍ ذريع جدًّا لان ستين في المئة من الذين يموتون في ذلك السن يكون السل سبب موتهم

احتكار الحنطة

نوت الحكومة الروسية منذ اربع سنوات ان تحتكر الحنطة هي والولايات المتحدة الاميركية لكي ترفع ثمنها وتغني فلاحيها لكن حكومة الولايات المتحدة الاميركية رفضت ذلك حينئذٍ. وقد بلغت غلة الحنطة في المسكونة كلها منذ سنتين ٢٨٧٩ مليون بشل وغلة اميركا منها ٧٠٠ مليون بشل وغلة روسيا ٤٠٠ مليون بشل وكان غرض

روسيا ان تزيد ثمن البشل عشرة غروش فلو أُجيب طلبها لربح الفلاح الاميركي من ذلك ٧٠ مليون جنيه كل سنة والفلاح الروسي اربعين مليون جنيه وتكون الخسارة على البلدان التي تشتري الحنطة

الاسلحة القديمة في المعرض

يقال ان فيهِ بندقية كانت للقيصر بولس الاول والسيف الذي كان مع بونابرت في تلست واهداهُ الى القيصر اسكندر الاول وغدَّارة كانت للملك هنري الثالث من ملوك فرنسا وبندقية من عهد الملك لويس الخامس عشر

سكك الحديد في اميركا

كان في الولايات المتحدة الاميركية ١٨٩ ٨٩٥ ميلاً من خطوط سكك الحديد المفردة منذ سنة من الزمان وكان عدد قواطرها ٣٦٧٠٣ وعدد مركباتها ١٣٧٥٩١٦ وعدد المستخدمين فيها ٩٢٨ ٩٢٤ ورأْس مالها ١١٠٠٠ مليون ريال فقيمة الميل الواحد مع ما يخصهُ من المركبات ونحوها ٦٠ ٥٦٦ ريالاً وبلغ الربح الذي وزعتهُ في العام الماضي ١١١ ٩٠٠ ٨٢٢ ريالاً اي نحو خمسة في المئة . وبلغ الدخل كلهُ قبل طرح النفقات ١٣١٣ ٦١٠ ١١٨ ريالاً

وقتل بهذه السكك في العام الماضي ٧١٢٣ نفساً وأُوذي ٤٤ ٦٢٠. لكن المسافرين منهم قليلون فقد قتل من المسافرين ٢٣٩ نفساً وأُوذي ٤٠٤٠ والباقون من عابري الطريق

الحلزون والصخور

يُرَى الحلزون احياناً كثيرة في ثقوب غائرة في الصخور وهذه الثقوب اسطوانية الشكل يختلف قطرها من خمسة سنتمترات الى نصف سنتمتر حسب كبر الحلزونة وصغرها ويقول الفلاحون الذين يرونها ان الحلزون يثقبها في الصخر ولكن لم يثبت ذلك الاَّ بعد ان راقبهُ العلماء ووجدوهُ صحيحاً فان الحلزون يثقب الصخور الكلسية الصلبة على اسلوب غير معروف حتى الآن وقد تكون هذه الثقوب كثيرة جدًّا حتى يصير الصخر بها كالاسفنج ويتصل بعضها ببعض كما يشاهد على شاطىء البحر عند مينا الحسن في مدينة بيروت

التلسكوب واللصوص

يستعمل التلسكوب لرصد الافلاك لا لكشف اللصوص ولكن كان واحد في معمل الآلات البصرية باميركا يمتحن تلسكوباً بالامس فادارهُ الى مكان قريب فرأَى ولداً يسرق اناءً من الزبدة من عربة مارة امامهُ فاخبر رجال البوليس بالتلفون حالاً فقبضوا على السارق وفتشوهُ فوجدوا الزبدة معهُ

الفطر الكبير

الفطر المعروف في القطر المصري بعيش الغراب لا يكبر كثيراً فاذا بلغ قطر القرص

منهُ شبرًا حسب من اكبر انواع الفطر وهذا اكبر ما رأيناهُ . لكن بعضهم وجد فطرًا في اميركا قطرهُ نحو متر ووزنهُ نحو كيلو غرام

حرير الرتيلاء

ذكرنا غير مرةٍ ان الفرنسويين ربَّوا نوعًا من الرتيلاء في استراليا واستخرجوا منها خيوطًا حريرية متينة غزلوها ونسجوها وعرضوا منسوجاتها في معرض باريس . وقد وقفنا الآن على وصف طبائع هذه الرتيلاء وكيفية تربيتها واخراج الحرير منها وهي كبيرة الجسم انثاها اكبر من ذكرها مثل سائر العناكب والانثى شكسة الطباع شرسة الاخلاق واما الذكر فعلى غاية الضعف والانكسار واذا حان زمن المزاوجة لزم الحذر التام لانهُ اذا دنا منها حينئذٍ ولم تستحسنهُ وثبت عليهِ ودقت عنقهُ وافترستهُ

واذا حان وقت ولادتها مضت الى حراج المنجو حيث تجد غذاءً كافيًا لها ولصغارها . واذا قلَّ الغذاءُ لسبب من الاسباب لجأَت الى ناموس الطبيعة الاول ناموس الجهاد لبقاء الاصلح فتخرج هائمة على وجهها الى ان تجد واحدة من جنسها فتصارعها وتكافحها الى ان تقهر احداهما الأُخرى وتفترسها فتشبع ويبقى اشدها بأْسًا فهي احكم من البشر الذين لا يستفيدون من اعدائهم بعد قتلهم بل يتركون اشلاءهم تنتن وتفسد الهواء

ويظهر من اخبار مدغسكر ان الفرنسويين مهتمون اهتمامًا شديدًا بحرير العناكب يحسبون انهُ يكون منهُ نفع كبير للبلاد وقد انشأُوا مدارس يعلمون فيها الوطنيين كيفية تربيتها واستخراج الحرير منها وغزلهُ ونسجهُ . والفضل في انشاء هذه المدارس للجنرال غالياني. وهي من افضل المنشآت التي انشأَها الفرنسويون في مدغسكر لانها اساس لعمل مفيد قد يكون منهُ ثروة كبيرة للبلاد

ولا تزال هذه العناكب شرسة جدًّا تعسر تربيتها ولكن يحتمل ان استمرار التربية والتوليد يغيّر طباعها فتصير تربيتها سهلة مثل تربية دود الحرير. والآن يُفتش النساءُ الوطنيات عن العناكب في حراج المنجو ويأْتين بها الى المدرسة في سلال ولا يتركنها زمنًا طويلاً في السلال لئلا يفترس بعضها بعضًا. ثم توضع كل عنكبوتة في بيت صغير خاص بها ويضغط على جسمها بقطعة من الخشب حتى لا تستطيع الحراك . وبجانب هذا البيت بيوت اخرى صغيرة عدتها ثلاثون بيتًا ويكون في كل بيت عنكبوتة . ولبنات مدغسكر مهارة غريبة في استخراج الخيط الحريري من بطن العنكبوت فتضع الواحدة منهنَّ اصبعها على العنكبوتة وتضغط عليها قليلاً ثم تخرج اصبعها والخيط لاصق بها وتجمع الخيوط من العناكب الثلاثين وتصلها بوشيع دائر فتلتف عليهِ كما تلتف خيوط الحرير من فيالج دود الحرير .

ويستخرج الحرير من العنكبوتة اربع مرات في الشهر فيكون طولهُ ١٢ الف متر ثم تموت العنكبوتة عياءً. والعنكبوتة التي يستخرج حريرها تُخرَج من بيتها وترسل الى مكان تسترجع قوَّتها فيهِ حتى اذا عادت اليها الصحة والقوة اعيدت الى البيت واستخرج الحرير منها ثانية وثالثة ورابعة الى ان تموت

وحرير العنكبوت اصفر ذهبي دقيق متين جدًّا فهو ادق من حرير القز وامتن منهُ

واول من حاول نسج خيوط العناكب العالم ريومر سنة ١٧١٠ وذلك من عناكب فرنسا الصغيرة . ويقال ان اهالي الصين يستخرجون حرير العناكب وينسجونهُ. اما اول من استخرج حرير العناكب من مدغسكر فهو الاب كمبوى المرسل الكاثوليكي فانهُ شاهد خيوطها بين اشجار المنجو وجمعها وغزلها ونسجها فكان نسيجها متينًا جدًّا ولكنهُ كان غير منتظم الخيوط فبعضها دقيق وبعضها غليظ وبعد عناءٍ شديد رأى ان يستخرج الخيوط من العنكبوت مباشرةً كما تقدَّم

موسم القطن الماضي

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن المصري من اول سبتمبر الماضي الى ١٠ اغسطس ٦٤٣٣ ٣٨٣ قنطارًا اي نحو ستة ملايين ونصف مليون قنطار صدر منها ٣١٦٥ ١٦٥ قنطارًا الى البلاد الانكليزية و٢٧١٧ ١٣٨ قنطارًا الى سائر الممالك الاوربية وصدر الى الولايات المتحدة الاميركية ٥١٩٦٦٠ قنطارًا وبلغ الصادر اليها في العام السابق ٣٨٩١٦٤ قنطارًا فقط

وبلغ الوارد الى الاسكندرية من البزرة من اول سبتمبر الماضي الى ١٠ اغسطس ٣٧٨٦٥٥٨ اردبًّا صدر منها ٣٠٨٤ ٤٣٨ اردبًّا الى انكلترا و٣٥٧٦٧٨ الى سائر الممالك

التلغراف بين الارض والبالون

ثبت بالامتحان في فرنسا انهُ اذا طار بالون في الجو وكان فيهِ آلة من آلات ماركوني وكان علي الارض آلة مثلها امكن التخاطب بين الارض والبالون من غير موصل

ازدياد تجارة القطر

بلغ ثمن الفحم الحجري الذي ورد الى القطر المصري هذا العام حتى آخر يونيو الماضي ٥٤٣ ٩٩١ جنيهًا وكان في العام الماضي الى آخر يونيو ٤٣٠ ٦١٥ فالزيادة هذا العام ١١٢ ٣٧٤ جنيهًا

وبلغ ثمن الحديد والمواد الحديدية التي وردت هذا العام ٥١٩٦٥٩ وكان في العام الماضي ٣٣٦ ١٧٤ فالزيادة هذا العام ١٨٢ ٩٤٥ جنيهًا

وبلغ ثمن المنسوجات القطنية التي وردت هذا العام ٩٣٠ ٢٢٦ وكان في العام الماضي ٧٨٦ ٢٢٧ فالزيادة هذا العام ١٤٣ ٩٩٩ جنيهًا

عدد الحجاج

بلغ عدد الحجاج الذين حجوا هذه السنة الى مكة المكرمة عن طريق قنال السويس ١٥٩٢٧ حاجًّا وبلغ ١٢٠٧٢ حاجًّا في سنة ١٨٩٩ و ١٦٧١٧ حاجًّا في سنة ١٨٩٨ و١٣٧٠٤ في سنة ١٨٩٧ و١٤١٠٢ في سنة ١٨٩٦ و١٤٧٣٧ في سنة ١٨٩٥ و١٤٨٣٤ في سنة ١٨٩٤ و١٧٩٠٩ في سنة ١٨٩٣ و١٣٠٠٤ في سنة ١٨٩٢ و١١٠١٣ في سنة ١٨٩١ و١٠٨٧٧ في سنة ١٨٩٠

انشقاق المريء بالقيء

ذكر الدكتور بَوْلس لجمعية الطب والجراحة الملكية حادثة امرأة عمرها ٦٢ سنة اخذت مقدارًا كبيرًا من الصبر والراوند ثم شربت لبنًا وكاسًا من الماء والملح لكي تستفرغ فاصابها قيءٌ شديد وألم في القسم الشراسيفي وتهوُّر . ولما اصابها التهوُّر بطل القيءُ وأُعطيت المورفين لتخفيف الالم ولكنها تقيأتهُ وعاودها الالم واخيرًا اسلمت الروح بعد ابتداء القيء باثنتين وعشرين ساعة وظهر لدى البحث في رمتها ان مريئها انشق وهي تتقايأ. وهذه الحادثة من الحوادث النادرة جدًّا

السالول في الجدري

وجد بعض الاطباء انهُ اذا عولج المجدور بالسالول لم يعد يشعر بالحكة ولم يعد يحك البثور في جسمهِ فتسير سيرها وتبرأُ قبل ان تنضج ولا يبقى مكانها ندوب . ولا ضرر من اخذ درهم من السالول كل يوم واذا حدث منهُ انحطاط عقلي زال حالاً بعد زوال فعلهِ

مدرسة برمنهام

لم يكتفِ المستر تشمبرلين وزير انكلترا بالمال الذي جمعهُ لمدرسة برمنهام مع انهُ فاق ما طلبهُ قبلاً بل طلب ان يزاد ايضًا فلبَّى طلبهُ السر جمس تشانس ووهبها خمسين الف جنيه فصار مالها اربع مئة الف جنيه . هذا هو الطمع الحميد في خدمة العلم

سمك النيل

بعث المستر لوت الفين ومئتي مثال من اسماك النيل الى متحف التاريخ الطبيعي في بلاد الانكليز ليُبحَث عنها فيهِ . وعسى ان يكون من وراء هذا البحث في اسماك النيل والمال الذي انفقتهُ الحكومة المصرية على ذلك ان تبذل الوسائل لتكثير السمك في البرك والمستنقعات فيصلح هواؤها ويكثر الغذاء النيتروجيني منها لسكان هذا القطر

العفن في المعدة

قرأ الاستاذ مكس اينهور مقالة في مجمع امراض المعدة والامعاء في شهر مايو الماضي وصف فيها العفن الذي ينمو في المعدة فيسبب تعبًا كثيرًا لا يُعرَف اصلهُ عادةً ولا يعرف علاجهُ الاَّ اذا عُرِف ان سببهُ هذا العفن وعولج علاجًا يزيلهُ . والشائع ان عصارة

المعدة تميت كل المواد النباتية فيستحيل ان ينمو العفن فيها ولكن الامر ليس كذلك بل قد ثبت بالمشاهدة وجود العفن حيًّا ناميًا فيها ويمكن ان ينمو خارج المعدة في سائل مثل سائل المعدة . وذكر اناسًا كثيرين وُجد العفن في معدهم وعالجهم منهُ فشفوا . من ذلك شاب عمرهُ ٢٢ سنة اصيب بسوء الهضم منذ ست سنوات وكان لسانهُ مغطًّى دائمًا بفروة وطعم فمهِ رديئًا في الصباح وكان يشعر بعد الطعام بساعتين بحرقة اسفل المعدة وقد يتجشأُ ويقيءُ قليلاً وكانت قابليتهُ جيدة وجسمهُ معتدلاً وكل الاعراض تدل على ان جسمهُ سليم لاعلة فيهِ لكنهُ استخرج قليلاً من العصارة من معدتهِ قبل الطعام وبعد الطعام بساعة فثبت لهُ بالبحث الميكرسكوبي ان فيها عفنًا ناميًا فعالجهُ ببي كربونات الصودا وبغسل المعدة ورشاش نترات الفضة فشفي تمامًا بعد اربعة عشر يومًا وزال العفن من معدتهِ

سبب الطاعون

وضع الدكتور منتينغرو الاسباني كتابًا في هذا الموضوع ذهب فيهِ الى ان الطاعون مرض من امراض الجرذان ينتشر في الدنيا بانتشارها فيها وينتقل منها الى الانسان مباشرة او بواسطة براغيث الجرذان التي تكثر عليها حينما تمرض وتفارقها بعد ان تموت وتبرد. ولا يظهر ان الطاعون يعدي باللمس ولكنهُ يعدي بالتلقيح من جرح في البدن او بالتنفس ودخول الميكروب مع الهواء الذي يتنفسهُ الانسان ولم يثبت حتى الآن انهُ يعدي عن طريق المعدة كالحمى التيفويدية لان الحيوانات التي أُطعمت مواد فيها ميكروب الطاعون لم تصب بهِ

رضاع الاطفال

قرأ الدكتور اسكندر مكلستر مقالةً في هذا الموضوع في مجمع الطب الاميركي ابان فيها ان الطفل الذي ترضعهُ امهُ او ترضعهُ امرأَةٌ أُخرى مثل امهِ يكون اسلم بنية من الطفل الذي يغذَّى باللبن الصناعي واقل تعرُّضًا للامراض منهُ . وان لبن البقر يبقى معرَّضًا لجراثيم الامراض المعدية من حين حلبهِ الى ان يشربهُ الطفل. واذا كانت الام شابَّة ولبنها قليلاً وجب ان تعالج حتى يكثر لبنها وان تأْكل كثيرًا من لبن البقر والمواد الدهنية لكي يغزر لبنها. واذا كان لبنها قليلاً جدًّا وتعذَّر وجود مرضع غيرها فيحسن ان ترضع طفلها كل ما يمكنها ارضاعهُ من لبنها ولو مرةً في اليوم وتسقيهُ لبن البقر بقية الوقت بعد اغلائهِ . وابان غيرهُ ان اغلاء اللبن يغير تركيبهُ وانهُ يقتل الميكروبات التي يمكن ان تكون في اللبن ولكنهُ لا يزيل السموم المفرزة منها فيهِ . وجملة القول ان لبن الوالدة هو الغذاء الطبيعي الصالح لطفلها ولا يجوز ابدالهُ بغيرهِ الَّا عند الضرورة الشديدة

تيفويد الاجنَّة

ابان الدكتور لوفت مورس ان ميكروب الحمَّى التيفويدية ينتقل من الحامل الى جنينها . وقد كان ذلك مظنوناً ظنًّا قبل اكتشاف ميكروب التيفويد اما الآن فثبت بالامتحان في الحيوانات وبالبحث الميكروسكوبي في الانسان

عدد النجوم

تقسم النجوم حسب اشراقها الى اقدار فيقال هذا النجم من القدر الاول وذاك من القدر الثاني . وهاك عدد النجوم من القدر الاول الى السادس

الاول	٢١
الثاني	٥٢
الثالث	١٥٧
الرابع	٥٠٦
الخامس	١٧٤٠
السادس	٥١٧١
والجملة	٧٦٤٧

ويظهر من ذلك ان نجوم كل قدر نحو ثلاثة اضعاف القدر الذي فوقهُ او اكثر من ثلاثة اضعافهِ . وقد حسبت النجوم في زيج اجلندر الى القدر التاسع فبلغت ٦٣٠ الفاً والى القدر العاشر في زيج تمس كرديا فبلغت ٢٣١١٠٠٠ واذا جرينا على نسبة الثلاثة اي ان نجوم كل قدر اكثر من القدر الذي فوقهُ ثلاثة اضعاف فعدد النجوم الى آخر القدر الرابع عشر نحو مئتي مليون نجم على ما اثبتهُ الاستاذ نيوكم

النقود الواردة الى مصر

ورد الى القطر المصري في العام الماضي من النقود الذهبية ماقيمتهُ ٤٤٦٧٨٢٩جنيهاً مصريًّا ومن النقود الفضية ما قيمتهُ ٤٨٠٨٨ جنيهاً مصريًّا والجملة ٤٥١٥٩١٧ جنيهاً مصريًّا وهي واردة من البلدان المختلفة على ما في هذا الجدول

	ذهب	فضة
انكلترا	١٦٤١٥٤٦	١٠
فرنسا	٠٩٨٦٨٢٨	١٩
املاك انكلترا	١٩٢	
النمسا	٠٣٣٨٨٩٧	٥٢
ايطاليا	٠١٣٧٧٦٤	١٢٢٨
تركيا	١٣٠٨٩٨٣	٤١٨٢
اليونان	٠٠٥٣٥٢٢	١٤
بقية البلدان	٠٠٠٠٠٩٧	٤٢٥٨٣
والجملة	٤٤٦٧٨٢٩	٤٨٠٨٨

فاكثر الذهب وارد من انكلترا وتركيا اما انكلترا فقد اشترت من القطر المصري في السنة الماضية ما قيمتهُ ٨٢٢٧٢٧٤جنيهاً اي بنحو ثمانية ملايين وربع مليون من الجنيهات ولذلك لا عجب اذا بعثت اليهِ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات لا سيما وان

القطر المصري اشترى منها في العام الماضي ما قيمتهُ اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات فقط فكانها بعثت لهُ بضائع ونقوداً واوفت عنهُ جانباً كبيراً من ربا دينهِ . واما تركيا فلا ندري لماذا ترسل الى القطر المصري هذا القدر الطائل من الذهب لان البضاعة التي اشترتها من القطر المصري قيمتها نحو ٣٤٠ الف جنيه لا غير وهو اشترى منها بضائع قيمتها مليون ومئتا الف جنيه فكان يجب ان يرسل اليها نقوداً اكثر مما ترسل اليهِ . ولا يفسر ذلك الاَّ بان بعض اصحاب الاموال صاروا يأتون باموالهم الى القطر المصري ليستثمروها فيهِ

النقود الصادرة من مصر

صدر من القطر المصري في العام الماضي من النقود الذهبية ما قيمتهُ ١٤٥٤٤٧٠ جنيهاً ومن النقود الفضية ما قيمتهُ ٤٨٠١٥ وهي صادرة الى البلدان المختلفة كما ترى في هذا الجدول

	ذهب	فضه
انكلترا	٤٠٥٦٢٥	٠٣٨٤٤
فرنسا	٤٨١٥٤٣	٠٢٩٩٩
املاك انكلترا	٣١٧٦٦١	٠٠٧١٦
النمسا	٠٠٠١٠٢	٠٠٥٣٨
تركيا	٢٤٧٨٩١	٢٤٧١٨
اليونان	٠٠١٦٢٣	
بقية البلدان	٠٠٠٠١٩	١٥٢٠٠
والجملة	١٤٥٤٤٧٠	٤٨٠١٥

ومجموع النقود الذهبية والفضية الصادرة من هذا القطر في العام الماضي ١٤٤٩٢٨٠ ومجموع النقود الذهبية والفضية الواردة اليهِ ٤٥١٥٩١٧ فالواردة اكثر من الصادرة ٣٠٦٦٦٣٧ اي ثلاثة ملايين و ٦٦ الف جنيه و٦٣٧ جنيهاً . فاين ذهبت هذه الثلاثة الملايين وهل هي باقية في القطر المصري وهل هي لاهلهِ او للشركات الاجنبية التي انشئت فيهِ واهلهُ استدانوها منهم بالربا . هذه مسائل هامة تستحق ان يبحث فيها ليعلم مصير البلاد أإلى التقدُّم هو ام الى التأخر

دار للتحف في القدس

ابتاع الاسرائيليون ارضاً غربي اورشليم ليبنوا فيها داراً يضعون فيها الكتب والآثار المتعلقة بالارض المقدسة فستكون اول متحف في سوريا بعد متاحف المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

باخرة في بحيرة لوط

أُتي بسفينة بخارية الى بحيرة لوط طولها ٢٥ متراً ولعلَّ الغرض الوحيد منها استعمال السياح لها

رجمة في فلسطين

لرجم الحجارة القديمة شأن كبير عند علماء الآثار وهي حجارة كبيرة كان الناس في سالف عهدهم ينصبونها حول موتاهم وقدوجد المسترستورت مكلستر الآن رجمة منها في

فلسطين بقرب بيت جبرين غربي الاردن وهي اول رجمة وجدت في تلك البلاد فيها ثمانية حجارة كبيرة خمسة منها في صفين متقابلين والثلاثة الباقية واقعة بينها ولعلها كانت غطاءً لها وتمتاز هذه الرجمة عن غيرها من الرجم في انها منصوبة على الصخر لا على التراب كأَن الميت الذي نصبت لهُ كان ملقىً على الصخر

شبابيك لا تحترق

صنع الاميركيون اغلاق الشبابيك من صفائح الحديد بدل الواح الخشب فجاءت خفيفة كالخشب او اخف ومتينة جدًّا وهي لا تحترق فاذا كان البيت مبنيًّا من غير خشب ومسقوفًا من غير خشب وابوابهُ وشبابيكهُ من صفائح الحديد زال كل خطر من النار

سكك الحديد في انكلترا

بلغ رأْس مال سكك الحديد في البلاد الانكليزية حتى آخر العام الماضي ١ ١٥٢ ٢١٨ ٠٠٠ جنيه فزاد ١٧٨٥٠٠٠٠ عمّا كان عليهِ في العام الذي قبلهُ وزاد نحو ٥٥ مليون جنيه عما كان عليهِ عام ١٨٩٧ وبلغ صافي الربح الذي وزع على المساهمين ٤١ ٥٧٦ ٠٠٠ جنيه . وكان الربح كلهُ ١٠١ ٦٦٧ ٠٠٠ جنيه وكانت النفقات ٦٠ ٠٩١ ٠٠٠ . ويقال بالاجمال ان راس مال سكك الحديد في بلاد الانكليز يبلغ الف مليون جنيه ودخلها السنوي يبلغ مئة مليون جنيه اي عشرة في المئة بالنسبة الى رأْس المال والنفقات تبلغ ستين مليون جنيه فيكون صافي الارباح اربعين مليون جنيه اي نحو اربعة في المئة بالنسبة الى رأْس المال والربح اكثر من ذلك قليلاً لان راس المال لم يدفع كلهُ بل دُفع منهُ ٩٦٧ مليون جنيه

غرائب النمل

النظر في طبائع النمل قديم جدا وكأَن البشر انتبهوا منذ زمن طويل الى ما بين هذه الطائفة والبشر من المشابهة في السعي والكدّ والتدبير والحكمة . وفي الاقوال المأْثورة عن حكيم العبرانيين ما يدلّ على وقوفهِ على كثير من اعمالها

وقد رأَينا في جريدة السينتفك اميركان نبذة لتاجر اميركي وصف بها بعض ما شهدهُ بعينهِ من غرائب النمل مما يظهر ما طبعت عليهِ من حسن التدبير قال رأَيت نحو اثنتي عشرة نملة من الصنف الاحمر تجرّ جثة رتيلاء وكان في ارجلها شعر يعلق بما في طريقها ويعيق النمل عن جرّها ولما اعياهنَّ الامر وقفنَ كانهنَّ يتشاورنَ في ما ينبغي فعلهُ وكان هناك ورقة يابسة فنقلن غنيمتهنَّ اليها وامسكن باطرافها وسرْنَ كالاول حتى بلغن قريتهنَّ

ورأيت في مرة أُخرى نملاً كثيرًا يسير من قريتهِ منظمًا كجيش وقد اطاف بهِ

الجواسيس ولما صار علي بضع اقدامٍ من وكرهِ انقسم شطرين تابع احدهما السير ولم يلبث حتى اشتبك مع العدوّ ودار الآخر من الوراء وهجم على ساقة العدو فاوقع بهِ

نفقات حرب الترنسفال

قدرت جريدة الايكونمست نفقات حرب الترنسفال كما يأتي بالجنيهات الانكليزية

الزيادة التي طلبت في اكتوبر الماضي	١٠٠٠٠٠٠٠
„ „ „ مارس „	١٣٠٠٠٠٠٠
„ „ „ اغسطس	٠٧٤٤٠٠٠٠
ميزانية الحربية لسنة	٣٧٧٩٧٠٠٠
فوائد	٠١٠٨٦٠٠٠
والجملة	٦٩٣٢٣٠٠٠

او نحو سبعين مليونًا من الجنيهات تنفق في سنة علي الجيوش وسيعود نفعها على سكان تلك البلاد وعلى الذين يستوطنونها معهم ولكن الماليين اصحاب اسهم المناجم يجنون منها النفع الاكبر

صناعة النسج في اميركا

يزيد القطن الاميركي فتزيد معاملهُ عاماً بعد عام فقد كان في الولايات المتحدة ١٤ مليون مغزل سنة ١٨٩٠ فصار فيها الآن ٢١ مليون مغزل فالزيادة خمسون في المئة وكان فيها ٣٢٤٨٦٦ نولاً فصار فيها الآن ٤٩٠٣٩٨ فالزيادة اكثر من خمسين في المئة وكان فيها ٣٦٤٦٢ من آلات الحبك فصار فيها ٧٥٧٢١ فالزيادة اكثر من مئة في المئة وكان فيها ٧١٨٣٦٠ آلة لغزل الحرير وفتلهِ فصار فيها الآن ١٤٢٦٢٤٥ آلة فالزيادة نحو مئة في المئة وكان فيها ٢٠٨٢٢ نولاً لنسج الحرير فصار فيها ٤٨٢٤٦ نولاً والزيادة اكثر من ١٣٠ في المئة . وقد تمت هذه الزيادة كلها في عشر سنوات

فيضان النيل

تدلُّ الدلائل كلها علي ان فيضان النيل هذا العام سيبلغ حدًّا عظيماً جدًّا فيفوق فيضان سنة ١٨٩٨ وربما فاق فيضان سنة ١٨٧٨ الذي وصل فيهِ النيل الى حد لم يصلهُ من قبل فكان ارتفاعهُ في اصوان في ٣١ يوليو ٦ اذرع و ٢٣ قيراطًا فبلغ في ٥ اغسطس ١٠ اذرع و ٢٠ قيراطاً وفي ١٥ اغسطس ١٦ ذراعًا ولم يبلغ هذا الحد سنة ١٨٧٨ كما ترى من هذا الجدول

١٩٠٠		١٨٧٨		
قيراط	ذراع	قيراط	ذراع	
٠	٤	٢	٤	١٥ يوليو
١٢	٥	٤	٦	٢٠ يوليو
٨	٦	١٤	٨	٢٥ يوليو
٢٣	٦	٢٠	١٠	٣١ يوليو
٢٠	١٠	١٣	١١	٥ اغسطس
١	١٥	٥	١٣	١٠ اغسطس
١٥	١٥	٢١	١٤	١٥ اغسطس

فالزيادة في فيضان هذا العام متسارعة جدًّا ولا يزال الماء يزيد في مقياس سنار حتى الآن فينتظر ان تستمر الزيادة في اصوان ثلاثين او اربعين يوماً. اما متوسط قياس الفيضان في اصوان في السنوات العشرين الماضية فعلى ما ترى في هذا الجدول

قيراط	ذراع	
٣	٤	٥ يوليو
٢١	٤	١٠ "
٢٠	٥	١٥ "
٢٢	٦	٢٠ "
١٠	٨	٢٥ "
٢٠	١٠	٣١ "
٠٣	١٢	٠٥ اغسطس
١٩	١٣	٠١ "
١٢	١٤	١٥ "
٠٢	١٥	٢٠ "
١٥	١٥	٢٥ "
٠٠	١٦	٣١ "
٥	١٦	٥٠ سبتمبر
٥	١٦	١٠ "
١٩	١٥	١٥ "
١٥	١٥	٢٠ "

ويتضح من ذلك ان النيل لم يكن يبلغ في اصوان ١٦ ذراعاً الاَّ بعد اليوم ٢٥ من اغسطس وقد بلغ الآن هذا الحد ولم نزل في الخامس عشر من اغسطس فاذا استمرَّت الزيادة عشرين يوماً اخرى خيف من الغرق قدر ما خيف من الشرق في العام الماضي

حشرات التين

بحث المستر فرغات في الحشرات الصغيرة التي تكون في التين البري فوجد اناثها مجنحة وذكورها خالية من الاجنحة على ضد ما تكون عليهِ الحشرات والغالب ان تكون هذه الذكور عمياء قصيرة القوائم والقرون

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم في مدينة برادفورد من ٥ سبتمبر الى ١٣ منهُ فيخطب رئيسهُ خطبة الرئاسة في اليوم الاول ويستقبل الاعضاء في اليوم الثاني في مدرسة الصناعة ويخطب الاستاذ غوتش في اليوم الثالث في الكهربائية الحيوانية

الطاعون

زال الطاعون من بورت سعيد منذ ايام كثيرة ولكنهُ عاد الى الاسكندرية فيصاب بهِ واحد كل يومين او ثلاثة

اعلان لحضرات المشتركين

اصدرنا جزء سبتمبر (ايلول) هذا في منتصف اغسطس (آب) لكي نتمكن من الذهاب الى معرض باريس وقد يتأخر صدور الجزء التالي عن ميعادهِ بضعة ايام لان غرضنا ان نصف فيهِ المعرض بعد مشاهدتهِ

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

١٩٣ ملك ايطاليا (مصوَّرة)

١٩٩ دوق ادنبرج (مصوَّرة)

٢٠١ الفتح النورماندي

لحضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي يني الطرابلسي

٢١٦ التنازع والتعاون

لحضرة الكاتب الاديب فارس افندي الخوري

٢٢٣ اقدم المناجم والخرائط (مصوَّرة)

٢٢٥ معاهدة جنيفا وجرحى الحرب

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

٢٢٧ رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

٢٤٠ حديث مع الجناب العالي

٢٤٦ البعوض والحمى (مصوَّرة)

٢٥١ آثار الانامل (مصوَّرة)

---

٢ ٤ باب التقريظ والانتقاد * كتاب المحاماة

٢٥٧ باب الصناعة * البنوك والشركات الصناعية · الحفر الكهربائي · الطبع المنير على الورق · الجبسين

٢٠٩ باب الزراعة * القوة المطلوبة · البغال في الزراعة · صادرات ستة اشهر · محصول القمح الاميركي موسم القطن · امراض المواشي

٢٦٦ باب المراسلة والمناظرة * الانجيل بلغة البرابرة · نسيم بشور · الدقائق العربية · مدينة الخنساء

٢٦٩ باب تدبير المنزل * البنات والعلوم العالية · شراب الليمون · فساد الاطعمة · السمك القديم · الزكام في الصيف

٢٧٢ باب المسائل * اول نظم الاشعار · ملك مصر في عصر ابرهيم · الانتي اثيلين · البن في السودان · مساحة الصين · ما اخذ من الصين · عدد الاجانب في الصين · جنود الصين · تجارة روسيا مع الصين

٢٧٥ باب الاخبار العلمية وفيهِ ٤٧ نبذة